

جمالك
الحقيقيَ
إعداد
أخوات الطريق إلى اللّه
www.way2allah.com



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

لقد اهتم الإسلام أشد الاهتمام بحسن الخلق فقد أثنى الله عز وجل على رسوله الكريم بحسن الخلق حيث قال عز وجل: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" العلق: 4، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من شيءٍ في الميزان أثقل من حسن الخلق" رواه البخاري، وقال: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا" رواه أحمد وأبو داود.

فحُسن الخلق عبادة من العبادات التي يؤجر المسلم عليها، لذا وجب علينا كمسلمين السعي للرقي بأخلاقنا وتحسينها والتحلي بمكارم الأخلاق.

وما أجمل أن نرى الفتاة المسلمة متحلية بأخلاق حسنة تحقق جانب الاتزان في سلوكها، فلا يخفى على أحد أهمية المرأة المسلمة وكيف أن أعداء الدين يبذلون قصارى جهدهم ليجعلوها تتخلى عن رداء الأخلاق الحسنة وكم يحاولون أن يجروها لوحل لا طاقة لها به، فبالأخلاق تسموا الفتاة وبها تنال رفعة الدرجات عند الله.

وفي هذا الكتيب بإذن الله سنعرض لكم بعض الأخلاق الإسلامية التي ذكرت في القرآن الكريم، راجين من الله أن تسعي أختنا المسلمة للتحلي بها لتكوني قدوة ونموذجًا مُشرقًا للمرأة المسلمة بحق.

إعداد: أخوات الطريق إلى الله

العفة

معنى العفة:

لغةً:

مصدر عفَّ يقال: عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ والمرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ، وأعَفَّهُ الله واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ.

والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ.

اصطلاحًا:

لقد عرف العلماء العفة بأنها: ضبط النّفس عن الشّهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحّته فقط، واجتناب السّرف في جميع الملذّات وقصد الاعتدال.

وقيل هي: ضبط النّفس عن الملاذّ الحيوانيّة، وهي حالة متوسّطة من إفراط وهو الشّره وتفريط وهو جمود الشّهوة.

و أقول العفة هي ضبط جماح النفس عن كل ما يدنسها ويبعدها عن القرب من الله تعالى.

حث القران والسنة على العفة:

– الأمر بالعفة في القرآن الكريم:

جاء القران الكريم ليقوم الأخلاق وليطهرها من كل ما يدنسها ويحط من قدرها فدعا إلى العفة وأمر بها المؤمنين والمؤمنات قال رب الأرض والسماوات: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ" النور: 30، 31.

وها هو –جل جلاله– يأمرنا بالعفة ويعدنا عليها الغنى وقال سبحانه: "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" النور: 33.

أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، "حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" أي: يوسع عليهم من رزقه. (معالم التنزيل للبغوي (6/ 41).

وقال سبحانه: "وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ" النور: 60.

وبين لنا سبحانه حال أهل العفة الذين يتعففون عن المسألة قال سبحانه: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" البقرة: 273.

الْجَاهِلُ بحالهم أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التفعل من العفة وهي الترك، يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك. تفسير البغوي –رحمه الله– معالم التنزيل.

"تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ" السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم، "لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا" قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافا أصلا لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال. (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (6/ 84).

ويأمرنا الله عز وجل بالعفة عن أموال اليتامى، قال تعالى: "وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا" النساء: 6.

أي: من كان في غُنْية عن مال اليتيم فَلْيستعففْ عنه، ولا يأكل منه شيئا. ابن كثير رحمه الله، قال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم.

– الأمر بالعفة في السنة النبوية:

جاء النبي –صلى الله عليه وسلم– ليتمم مكارم وصالح الأخلاق ومن بين تلك الأخلاق الرفيعة خلق العفة فها هو –صلى الله عليه وسلم– يرسي معالم العفة ويحث النفوس على الاستقبال إليها والصيرورة من أهلها.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف" رواه الترمذي.

أي العفة من الزنا. قال الطيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانا بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعف وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين.

وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" رواه أحمد.

مجالات العفة

1– عفة الفرج

المجال الأول عفة الفرج: وهو أن يصون المسلم والمسلمة نفسه وفرجه عما حرم الله من الوقوع في هوة الرذيلة، وقد جاء في القرآن الكريم إشارة إلى هذه العفة في قوله تعالى: "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" النور: 33.

وقال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ" المؤمنون: 1- 7.

عن عبد الرّحمن بن عوف -رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: "إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنّة من أيّ أبواب الجنّة شئت" رواه أحمد.

عن أبي برزة -رضي اللّه عنه- عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: "إنّما أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ومضلّات الهوى" رواه أحمد.

الواقع التطبيقي:

وهذه الآيات والأحاديث لم تكن في يوم من الأيام عبارات تقرأ، بل كانت واقعا تطبيقيا في حياة المسلمين والمسلمات.

عفة نبي الله يوسف عليه السلام:

فهو رمز للعفة والطهارة، والخوف من الله، فلا نجد خيراً منه رمزاً ومثلاً؛ لما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ".. وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.." متفق عليه.

فها هي امرأة العزيز تراوده وهي ذات منصب وجمال، كما أنها هيأت له كل السبل التي تحقق لهما الخلوة التامة، ودون أن يكتشف ذلك أحد، ولكنه يأبى ذلك لاستحضار مُراقبة الله له وخوفه من غضبه "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" يوسف: 23، 24.

ما لي ولعبيد بن عمير:

يقول ابن الجوزي -رحمه الله- صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك. قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى للمساءلة، كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة. قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا، فصيرها راهبة.

2- عفة اللسان:

والمجال الثاني من مجالات العفة أن يمسك المسلم لسانه عن كل ما لا يحبه الله تعالى من أقوال من غيبة ونميمة واستهزاء وسخرية وطعن في أعراض المسلمين وعن فحش القول وزوره. فالله تعالى أخبرنا أنه سيحاسبنا عن أقوالنا كما سيحاسبنا عن أفعالنا من الله تعالى على عباده بعينين ولسان وشفتين، وخيرهم بين طريق الخير والشر. وقال تعالى: "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" ق: 18.

الواجب على المسلمة أن تنتبه لما يخرج من فمها، فإن الملائكة تحصي كلمات ابن آدم. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" الأحزاب: 70، 71.

وصَّى الله عز وجل عباده المؤمنين أن يتقوه فيما تنطق به الألسنة، فقال جل وعلا في كتابه المبين آمرًا عباده المؤمنين، وواعدًا لهم بعظيم ما يكون من الخير في الدنيا والآخرة إذا اتقوا الله في اللسان. من اتقى الله في لسانه، فإن الله وعده أن يصلح حاله، وأن يحسن عاقبته ومآله، وأنه يفوز فوزًا عظيمًا.

وقال تبارك وتعالى: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" البقرة:83. دعت هذه الآية بعمومها المسلم واليهودي والنصراني وغيرهم فحتى المشركة عليكِ أن تحسني خلقك وألفاظكِ معها.

وقال الله جل ذكره: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" المؤمنون: 1- 3.

فليس لكِ أختي أن تلغي وتتكلمي كما تشائين.

وصف الله أهل الإيمان بقوله: "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" الفرقان: 72.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي المسلمين أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" صحيح مسند أحمد.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "قلتُ يا رسولَ اللهِ ما النَّجاةُ قال أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُك، وابكِ على خطيئتِكَ" حسن للترمذي.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "إن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، اعتق النسمة، وفك الرقبة، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا عن خير" صحيح للألباني، صحيح الترغيب.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمت كُتِبَ لك أو عليك" حسن لغيره، صحيح الترغيب.

الواقع التطبيقي:

جاء رجل إلى وهب فقال له: إن فلانا شتمك، فقال له: أما وجد الشيطان بريدا غيرك؟ وجاء آخر إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن الأسواري لم يزل يذكرك ويقول: الضال، قال عمرو: يا هذا والله ما رعيت حق مجالسته إذ نقلت إلينا حديثه، ولا رعيت حقي حين أبلغتني عن أخي ما أكرهه، اعلم أن الموت يعمنا، والبعث يحشرنا، والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا.

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحرضه فيها على أخذ مال يتيم –وكان له مال كثير– فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

3- العفة عن المسألة:

والمجال الثالث من مجالات العفة عن أن يكف المسلم نفسه عن مسألة الناس وأن يكون عزيزًا مستغنيًا بالله تعالى لا ما نراه الآن في الطرقات والمواصلات والأسواق وعلى أبواب المساجد من أناس جعلوا المسألة وسيلة لجمع المال واتخذوا ذلك حرفة ووظيفة.

ولقد ضرب الفقراء في عهد سيد الأصفياء –صلى الله عليه وسلم– أروع الأمثلة على العفة وصون النفس، قال الله تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا" البقرة: 273. قال ابن عجيبة: "أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ" أي: من أجل تعففهم عن السؤال، وقال ابن القيم رحمه الله: وَصفَهم بتركهم مسألة الناس، فلا يسألونهم.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال: "ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس" متفق عليه.

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون لأحدنا ما يَعِف به ثم تراه يستشرف ما عند الآخرين، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِي –رضي الله عنه– قَالَ: "سَرَّحَتْنِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– (يعني: لأسأله من حاجة شديدة)، فَأَتَيْتُهُ وَقَعَدْتُ. فَاسْتَقْبَلَنِي وَقَالَ: "مَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَمَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَمَنِ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ قِيمَةُ أُوقِيَّةٍ فَقَدْ أَلْحَفَ (ألح من غير اضطرار)". فَقُلْتُ: "نَاقَتِي الْيَاقُوتَةُ خَيْرٌ مِنْ أُوقِيَّةٍ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ" صحيح النسائي. والأوقية أربعون درهما.

ولذلك كرهوا لمن له هذا المقدار أن يسأل الناس، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من سأل وله أربعون درهما فهو الملحف" صحيح النسائي.

ومثل ذلك من كانت له استطاعة بدنية على العمل والكسب، ثم يفضل الاتكال على الغير، يستجديهم ويسألهم، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ. يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ، فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَأْكُلُ بِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا" الصحيحة.

ومطية العفاف الصبر، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي –رضي الله عنه– أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: "مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" متفق عليه.

وهو ما يؤكده قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "استغنوا عن الناس ولو بشَوْصِ السواك (بفتاته)" صحيح الجامع.

الواقع التطبيقي:

ولذلك كان أحدهم يستعف أن يسخر غيره في أدنى الأمور. وعن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ يَضْمَنُ لِي وَاحِدَةً وَأَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ؟". قَالَ ثوبان: أَنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "لاَ تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا". فَكَانَ سَوْطُ ثَوْبَانَ يَسْقُطُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَيُنِيخُ حَتَّى يَأْخُذَهُ، وَمَا يَقُولُ لأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ" رواه أحمد وإسناده صحيح.

ولقد فتح المسلمون مقر كسرى، وبعثوا إلى عمر بن الخطاب –بما وجدوه من نفائس قصره بما في ذلك تاجه– ليوزعها على الفقراء، فبكى عمر وقال لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "إن قوما أدوا هذه الأمانة كاملةً غير منقوصة لأمناء". فقال علي –رضي الله عنه–: "يا أمير المؤمنين، عَفَفتَ فعفوا، ولو رَتعتَ لرتعوا".

ثمرات العفة:

1– أن العفيف من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" أخرجه البخاري.

2– العفة سبب للنجاة من الابتلاءات والمضائق: فقد جاء في قصة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم توسل إلى الله بقوله: عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: قال: سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "انطلقَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَةٌ من الجبل، فسَدت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم، اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمئة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المئة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا" أخرجه البخاري.

3– أن العفيف من أول من يدخل الجنة: عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُرِض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه" قال أبو عيسى هذا حديث حسن وضعفه الألباني.

فاعلم أيها المتعفف أنك من أوائل من تحتضنهم الجنة.

عن عياض بن حمار –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، يقول: "أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال" رواه مسلم.

4– إعانة الله لمن أراد العفاف: إن الله سبحانه وتعالى تكفّل بمقتضى وعده إعانة من يريد النكاح حتى يعف، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حقّ على الله عزّ وجل عونهم: المكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله" رواه النسائي.

الحيـاء

ثم يَأْتِي الحَدِيثُ عَنِ الدُّرَّةِ النَّفِيسَةِ «الحَيَاءِ»، فِي وَقتٍ تُنحَرُ فِيهِ الفَضِيلَةُ، وَتُذبَحُ فِيهِ الأَخلَاقُ مِنَ الوَرِيدِ إِلَى الوَرِيدِ، عَبرَ أَجهِزَةِ الفَسَادِ السَّمعِيَّةِ مِنهَا وَالبَصَرِيَّةِ، الَّتِي تَنسِفُ الحَيَاءَ نَسفًا، وَتُدَمِّرُهُ تَدمِيرًا، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

فالحياء خلق يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح، فهو من صفات النفس المحمودة.. وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ كما في الحديث: "إن لكل دين خلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء" رواه ابن ماجة، فالحياء دليل على الخير، وهو المخْبِر عن السلامة، والمجير من الذم. قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء. وقيل أيضًا: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

تَعرِيفُ الحَيَاءِ:

الحياء لغةً: الحشمة، ضد الوقاحة. وقد حيي منه حياء واستحيا واستحى فهو حَيِيٌّ، وهو الانقباض والانزواء.

الحَيَاءُ شَرعًا: خُلُقٌ يَكُفُّ العَبدَ عَنِ ارتِكَابِ القَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى فِعلِ الجَمِيلِ، وَيَمنَعُهُ مِنَ التَّقصِيرِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الحَقِّ، وَهُوَ مِن أَعلَى مَوَاهِبِ اللَّهِ لِلعَبدِ.

فَضَائِلُ الحَيَاءِ:

أَوَّلًا: الحَيَاءُ مِفتَاحُ كُلِّ خيرٍ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ" قَالَ: أَوْ قَالَ: "الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ" أخرجه أبو داوود.

وَهُوَ أَصلُ كُلِّ خَيرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الخَيرِ أَجمَعِهِ، لِأَنَّهُ بَاعِثٌ عَلَى أَفْعَالِ الخَيْرِ وَمَانِعٌ مِنَ المَعَاصِي، وَيَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَالقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُهُ مِمَّا يُعَابُ بِهِ وَيُذَمُّ، فَإِذَا كَانَ هَذَا أَثَرُهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خُلُقٌ مَحْمُودٌ، لَا يُنْتِجُ إِلَّا خَيْرًا، فَالَّذِي يَهُمُّ بِفِعْلِ فَاحِشَةٍ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ ارْتِكَابِهَا، أَوْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ سَفِيهٌ بِسَبٍّ وَشَتمٍ، فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ مُقَابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِالسَّيِّئَةِ، أَوْ يَسْأَلُهُ سَائِلٌ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ حِرْمَانِهِ، أَوْ يَضُمُّهُ مَجْلِسٌ فَيُمْسِكُ الحَيَاءُ بِلِسَانِهِ عَنِ الكَلَامِ المحَرَّمِ، كَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ؛ فَالَّذِي يَكُونُ لِلْحَيَاءِ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الآثَارُ الْحَسَنَةُ، فَهُوَ ذُو خُلُقٍ مَحْمُودٍ. وَلِهَذَا كَانَ الحَيَاءُ خَيرًا كُلُّهُ، بَل هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ.

عَنْ قُرَّةَ –ابنِ إِيَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ– قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فَذُكِرَ عِنْدَهُ الحَيَاءُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "بَل هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ". لِعُلُوِّ مَنزِلَتِهِ، وَجَلِيلِ قَدْرِهِ، وَسُمُوِّ مَحَلِّهِ، وَرِفعَةِ شَأنِهِ، وَعَظِيمِ نَفعِهِ.

ثَانِيًا: الحَيَاءُ إِيمَانٌ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ" المستدرك على الصحيحين.

الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ مَقرُونَانِ لَا يَفتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا؛ لِاستِوَائِهِمَا فِي الحَثِّ عَلَى كَثِيرٍ مِن أَعمَالِ البِرِّ وَالخَيرِ، وَالزَّجرِ عَن كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيحٍ مِنَ الفُحشِ وَالفَوَاحِشِ، وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَالآثَامِ. فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْمَرْءِ رُفِعَ مِنْهُ الْآخَرُ. وَهَذَا مُشعِرٌ بِعَظَمَةِ الحَيَاءِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" الصحيحين.

يَعْنِي: شُعْبَةً عَظِيْمَةً وَمُهِمَّةً مِنَ الإِيْمَانِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِ بَقِيَّةِ الشُّعَبِ. وَإِنَّمَا خَصَّهُ هُنَا بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِثْلَ الإِيْمَانِ مِنَ ارْتِكَابِ مَا لَا يَحِلُّ، وَمَا يُعَدُّ مِنَ الفُحْشِ وَالفَوَاحِشِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ" متفق عليه.

ثَالِثًا: الحَيَاءُ أَبهَى زِينَةٍ:

إِنَّ الوَجْهَ المَصُوْنَ بِالحَيَاءِ، كَالجَوْهَرِ المَكْنُوْنِ فِي الوِعَاءِ، وَكَاللَّآلِئِ فِي البِحَارِ، وَكَاللُّبَابِ فِي الثِّمَارِ، وَلَنْ يَتَزَيَّنَ إِنْسَانٌ بِزِيْنَةٍ، هِيَ أَبْهَى وَلَا أَجْمَلُ مِنَ الحَيَاءِ.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: "مَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ" الأدب المفرد للبخاري.

فَلَا يَكُونُ فِي شَيءٍ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ، إِلَّا زَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ وَحَسَّنَهُ؛ وَلَا يُنزَعُ مِن شَيءٍ، إِلَّا شَانَهُ وَعَابَهُ وَقَبَّحَهُ، وَجَرَّ إِلَيهِ العَيْبَ وَالقُبْحَ.

الحَيَاءُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَالفُحشُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.

رَابِعًا: الحَيَاءُ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

عَن أَشَجِّ عَبدِ القَيسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ [لِي] النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَينِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ" قُلتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الحِلمُ وَالحَيَاءُ" مصنف ابن أبي شيبة. وَعَن يَعلَى بنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم رَأَى رَجُلًا يَغتَسِلُ بِالبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ المِنبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثنَى عَلَيهِ؛ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّترَ، فَإِذَا اغتَسَلَ أَحَدُكُم فَليَستَتِر" رواه أبو داوود والنسائي وأحمد.

خَامِسًا: الحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الجَنَّةِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ؛ وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ" سنن الترمذي.

* "الإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ": هُوَ أَهلُ الإِيمَانِ فِي الجَنَّةِ، وَمَعنَى البَذَاءِ فِي النَّارِ: هُوَ أَهلُ البَذَاءِ فِي النَّارِ.

* "البَذَاءُ": الفُحْشُ فِي القَوْلِ، وَالسُّوءُ فِي الخُلُقِ، وَالكَلَامُ البَذِيءُ: الكَلَامُ القَبِيحُ.

* "مِنَ الجَفَاءِ": أَي أَهلُهُ التَّارِكُونَ لِلوَفَاءِ، الثَّابِتُونَ عَلَى غَلَاظَةِ الطَّبعِ وَقَسَاوَةِ القَلْبِ، وَهَذَا يُوْرِثُ تَرْكَ الصِّلَةِ وَالبِرِّ.

سَادِسًا: الحَيَاءُ خُلُقُ الإِسلَامِ:

الحَيَاءُ هُوَ مِن أَفضَلِ الأَخلَاقِ وَأَجَلِّهَا، وَأَعظَمِهَا قَدرًا، وَأَكثَرِهَا نَفعًا. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ" رواه ابن ماجة والطبراني، وَمَعنَاهُ: أَنَّ كُلَّ دِينٍ لَهُ طَبعٌ وَسَجِيَّةٌ؛ وَإِنَّ طَبعَ هَذَا الدِّينِ، وَسَجِيَّتَهُ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ: الحَيَاءُ. وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الإِسلَامِ حُسنُ الخُلُقِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا" رواه الترمذي، حديث حسن.

إِذًا فَالحَيَاءُ تَركُ القَبَائِحِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِتيَانُ المحَاسِنِ وَالخَيرَاتِ، وَهَذَا خُلُقُ الإِيمَانِ. وَلَولَا هَذَا الخُلُقُ لَم يُكرَمْ ضَيفٌ، وَلَم يُوفَ بِوَعدٍ، وَلَم تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، وَلَم تُقْضَ حَاجَةٌ، وَلَم تُصَل رَحِمٌ؛ وَلَا بُرَّ وَالِدٌ، وَلَا رُحِم صَغِيرٌ، وَلَا وُقِّرَ كَبِيرٌ؛ وَلَا تَحَرَّى الرَّجُلُ الجَمِيلَ فَآثَرَهُ، وَالقَبِيحَ فَتَجَنَّبَهُ، وَلَا سَتَرَ لَهُ عَورَةً، وَلَا امتَنَعَ مِن فَاحِشَةٍ.

سَابِعًا: الحَيَاءُ شَرِيعَةُ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَام:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَع مَا شِئْتَ" رواه البخاري، رَفَعَ النَّبِيُّ عَلَيهِ السَّلَام قَدرَ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَجَلَّهَا، وَعَظَّمَ شَأنَهَا؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أَنَّ الحَيَاءَ لَمْ يَزَل مُستَحْسَنًا فِيْ شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ الأَوَّلِيْنَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ وَلَمْ يُنْسَخْ فِي جُمْلَةِ مَا نَسَخَ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ، بَل تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَتَوَارَثُوهُ عَنْهُمْ، وَتَوَاصَوْا بِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ.

ثَامِنًا: الحَيَاءُ مَانِعٌ مِن فِعلِ المَعَاصِي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَع مَا شِئْتَ" رواه البخاري، وَالمعْنَى: أَنَّ الرَّادِعَ عَنِ القَبِيحِ إِنَّمَا هُوَ الحَيَاءُ، وبِغِيَابِ الحَيَاءِ: تَتَدَمَّرُ الأَخلَاقُ، وَتُرْتَكَبُ الفَوَاحِشُ وَالموْبِقَاتُ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مَا شَاءَ.

فَالحَيَاءُ هُوَ الحَائِلُ بَيْنَ الإِقْدَامِ عَلَى المعْصِيَةِ وَالإِمْسَاكِ عَنْهَا، وَأَنَّهُ كَالسَّدِّ إِذَا تَحَطَّمَ انْهَمَرَ الماءُ يُغْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَالَّذِي لَا حَيَاءَ لَهُ لَا سَدَّ عِنْدَهُ، فَهَذَا لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى المعْصِيَةِ لِيَفْعَلَهَا، وَلَا يَرَى بِهَا بَأْسًا.

لِذَلِكَ تَرَاهُ يَرضَى بِتَبَرُّجِ زَوجَتِهِ وَابنَتِهِ وَأُختِهِ، وَمُخَالَطَتِهِنَّ لِلرِّجَالِ، وَدُخُولِهِنَّ عَلَيهِم، وَدُخُولِهِم عَلَيهِنَّ؛ حَتَّى عَظُمَ الشَّرُّ، وَعَظُمَ البَلَاءُ.

قَالَ القَائِلُ:

وَرُبَّ قَبِيْحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي --- وَبَيْنَ رُكُوْبِهَا إِلَّا الحَيَاءُ

فَكَانَ هُوَ الدَّوَاءَ لَهَا وَلَكِنْ --- إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلَا دَوَاءُ

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي --- وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ --- وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

يَعِيْشُ المرْءُ مَا اسْتَحْيَى بِخَيْرٍ --- وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

يَبْقَى العُودُ غَضًّا طَرِيًّا مَا بَقِيَتِ القِشْرَةُ الخَضْرَاءُ، فَإِنْ سَقَطَتْ فَقَد آذَنَتْ حَيَاتُهُ بِالضُّمُورِ. وَهَكَذَا النَّاسُ يَعِيْشُوْنَ فِي حَيَاةٍ وَسَعَادَةٍ، مَا دَامَ فِيْهِمْ خُلُقُ الحَيَاءِ؛ وَإِذَا فَقَدُوهُ فَقَدْ هَلَكُوْا، فَلَيْسَ فِيْهِمْ وَلَا فِي حَيَاتِهِمْ خَيْرٌ، فَلَا حَيَاةَ بِلَا حَيَاءٍ.

كَيفَ يَكُونُ الحَيَاءُ مِنَ اللهِ تَعَالَى؟

عَن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "استَحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ" قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَستَحيِي وَالحَمدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: "لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الإستِحيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَن تَحفَظَ الرَّأسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطنَ وَمَا حَوَى، وَلتَذكُرِ المَوتَ وَالبِلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ استَحيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ" رواه الترمذي.

نَعَمْ! هَذَا هُوَ الاِستِحيَاءُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نَبِيُّ الإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ الإِنْسَانُ حَوَاسَّهُ، يَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَى فُحْشٍ، وَغِنَاءٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ شَهْوَةٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِقَبِيْحٍ أَوْ مُنْكَرٍ؛ وَكَذَلِكَ يَحْفَظُ بَطْنَهُ فَلَا يُدْخِلُ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ فَلَا يَرْتَكِبُ فَاحِشَةً. وَيَذْكُرُ المَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَآثَرَ مَا يَبقَى عَلَى مَا يَفنَى، فَآثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنيَا. وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ تَحَقَّقَ بِمَعْنَى الاِستِحيَاءِ؛ الَّذِي هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي الحَيَاءِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: "أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ" رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (145/6)، وأحمد في ((الزهد)) (ص: 46). وصححه الألباني في ((صحيح الجامع الصغير)) (2541).

يَا لَهَا مِن وَصِيَّةٍ: مَا أَجَلَّهَا وَأَغلَاهَا! لِمَن وُفِّقَ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

فَمِنْ وَقَارِ اللَّهِ: أَنْ يَسْتَحِيَ العَبْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الخَلوَةِ، أَعظَمَ مِمَّا يَستَحِي مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ.

وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيكَ، مُطَّلِعٌ عَلَيكَ، فَقُل لِنَفسِكَ: لَو كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَومِي يَرَانِي، لَاستَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيفَ لَا أَستَحِي مِن رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ لَا آمَنُ تَعجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشفَ سَترِهِ؟! فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ حَيثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاستَحضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَركَ المَعَاصِي فِي السِّرِّ.

قَالَ القَحطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا خَلَوتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلمَةٍ --- وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغيَانِ

فَاستَحْيِ مِن نَظَرِ الإِلَهِ وَقُل لَهَا --- إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَورَاتُنَا مَا نَأتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: "احفَظْ عَورَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوجَتِكَ، أَو مَا مَلَكَت يَمِينُكَ" قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ القَومُ بَعضُهُم فِي بَعضٍ؟ قَالَ: "إِنِ استَطَعتَ أَن لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ، فَلَا يَرَيَنَّهَا" قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: "اللَّهُ أَحَقُّ يُستَحيَ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ" سنن أبي داوود. فَقَد أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم الرَّجُلَ: أَن يَستُرَ عَورَتَهُ، وَإِن كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، تَأَدُّبًا مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاستِحيَاءً مِنهُ؛ فَكَيفَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ حَيَاءُ الإِنسَانِ مِنهُ تَعَالَى، إِذَا رَآهُ حَيثُ نَهَاهُ؟!

فَمَتَى كَمُلَ حَيَاءُ الإِنْسَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الشَّرِّ؛ وَصَارَ بِالفَضْلِ مَشْهُورًا، وَبِالجَمِيلِ مَذْكُورًا. فَسَلِمَتْ أَفْعَالُهُ، وَتَهَذَّبَتْ أَخْلَاقُهُ، وَطَهُرَ سِرُّهُ، وَظَهَرَ بِرُّهُ، وَقَلَّ شَرُّهُ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ.

خلوَةُ الَّذِينَ لَا يَستَحيُونَ مِنَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى:

لَمَّا غَابَ الحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، تَجَرَّؤُوا عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ. عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا". قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُم لَنَا، جَلِّهِم لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: "أَمَا إِنَّهُم إِخْوَانُكُم وَمِنْ جِلدَتِكُم، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُم أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا" رواه ابن ماجة، فَهَؤُلَاءِ قَامُوا بِأَعمَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَاعتَنوا بِالمظَاهِرِ، وَجَعَلُوهَا زَاهِيَةً؛ وَأَهمَلُوا سَرَائِرَهُم، وَبَوَاطِنَهُم، وَجَعَلُوهَا خَاوِيَةً، فَلَم يُرَاقِبُوا اللَّهَ فِي خَلَوَاتِهِم. هَؤُلَاءِ يَنطَبِقُ عَلَيهِم قَولُ يَحْيَى بن مُعَاذٍ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَظهَرَ بَينَ الخَلقِ إِحسَانَهُ --- وَخَالَفَ الرَّحمَنَ لَمَّا خَلَا

يَستَخِفُّ بِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيهِ: وَهُوَ فِي قَبضَتِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ، وَيُعَظِّمُ نَظَرَ المَخلُوقِ إِلَيه، وَاطِّلَاعَهُ عَلَيهِ بِكُلِّ قَلبِهِ وَجَوارِحِهِ؛ يَستَحيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَستَحيِي مِنَ اللَّهِ، وَيُعَامِلُ الخَلقَ بِأَفضَلَ مَا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَإِن عَامَلَ اللَّهَ عَامَلَهُ بِأَهوَنَ مَا عِنْدَهُ وَأَحقَرَهُ؛ وَإِن قَامَ فِي خِدمَةِ مَن يُحِبُّهُ مِنَ البَشَرِ، قَامَ بِالجِدِّ وَالاجتِهَادِ وَبَذلِ النَّصِيحَةِ، وَقَدْ فَرَّغَ لَهُ قَلبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِن مَصَالِحِهِ.

أَفَلَا يَستَحِي العَبدُ مِن رَبِّهِ وَمَولَاهُ وَمَعبُودِهِ أَن لَا يَكُونَ فِي عَمَلِهِ هَكَذَا؟! وَهُوَ يَرَى المحِبِّينَ فِي أَشغَالِ مَحبُوبِيهِم مِنَ الخَلقِ كَيفَ يَجتَهِدُونَ فِي إِيقَاعِهَا عَلَى أَحسَنِ وَجهٍ وَأَكمَلِهِ، بَل هُوَ يَجِدُ مِن نَفسِهِ ذَلِكَ مَعَ مَن يُحِبُّهُ مِنَ الخَلقِ، فَلَا أَقَلَّ مِن أَن يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ بِهَذِهِ المنزِلَةِ.

عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنكَ شَيئًا، فَلَا تَفعَلهُ إِذَا خَلَوتَ" صحيح ابن حبان.

أَفَلَم يَأنِ لِلَّذِينَ يَخلُونَ بِمَحَارِمِ اللَّهِ وَيَدخُلُونَ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّةِ، وَيُشَاهِدُونَ الأَفلَامَ الخَلِيعَةَ، أَن يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ تُبلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَيُحَصَّلَ فِيهِ مَا فِي الصُّدُورِ. يَومَ يَدُومُ فِيهِ النَّدَمُ، لِمَن زَلَّت بِهِ القَدَمُ، قَبلَ أَنْ يَقُولَ المذنِبُ: رَبِّ ارجِعُونِ. فَيُقَالَ لَهُ: هَيهَاتَ، فَاتَ مَا فَاتَ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَقَد بَعُدَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ المسافَاتُ. قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ * لَعَلِّي أَعمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ" المؤمنون: 99 – 100.

يَا مَن يُشَاهِدُ المحطَّاتِ الماجِنَةَ، وَيَسمَعُ الأَصْوَاتَ الفَاجِرَةَ؛ الَّتِي تَعْمَلُ فِي القُلُوبِ، أَعْظَمَ مِنَ السُّمِّ فِي الأَبْدَانِ؛ اعلَمْ بِأَنَّ مَنِ استَحيَى مِنَ اللَّهِ عِندَ مَعْصِيَتِهِ، اسَتَحيَى اللَّهُ مِن عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلقَاهُ؛ وَمَن لَم يَستَحِ مِن مَعْصِيَتِهِ، لَمْ يَسْتَحِ مِن عُقُوبَتِهِ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

يَا مُدمِنَ الذَّنبِ أَمَا تَستَحِي --- وَاللَّهُ فِي الخَلوَةِ ثَانِيكَا

غَرَّكَ مِن رَبِّكَ إِمهَالُهُ --- وَستَرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

نَمَاذِجُ مُشرِقَةٌ مِنَ الحَيَاءِ

1– أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسلَّم: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: "يُرْخِينَ شِبْرًا" فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ! قَالَ: "فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ" رواه

الترمذي. يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يَقُولُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: "يُرْخِينَ شِبْرًا"، وَلَكِنَّهَا تَقُوْلُ: إِنَّ النِّسَاءَ لَا تُطِيْقُ هَذَا، لِأَنَّ أَقْدَامَهُنَّ سَتَنْكَشِفُ عِنْدَ المشْيِ، فَلَمْ تَرْضَ أَنْ يُرْخَى الثَّوْبُ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِي الأَرْضِ؛ وَلَكِنَّ فَتَيَاتِ هَذَا الزَّمَانِ رَضِيْنَ بِهَذَا الشِّبْرِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِيْ الأَرْضِ، لَكِنَّهُ شِبْرٌ فَوْقَ الرُّكْبَتَيْنِ. الْمَرْأَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الحَيَاءِ، فَإِذَا فَقَدَتِ الْمَرْأَةُ حَيَاءَهَا؛ فَقَدَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَفَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبَطْنُ الأَرضِ خَيرٌ لَهَا مِن ظَهرِهَا.

2- المَرْأَةُ السَّودَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا:

عَنْ عَطَاءَ بنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: أَلَا أُرِيْكَ امرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المرْأَةُ السَّودَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ -الصَّرْعُ: عِلَّةٌ فِي الجِهَازِ العَصَبِيِّ تَصحَبُهَا غَيبُوبَةٌ وَتَشَنُّجٌ فِي العَضَلَاتِ، وَقَد تَكُونُ بِدُخُولِ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ المصرُوعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المسِّ" البقرة: 275- وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ -أَي: خَشِيَتْ أَن تَظهَرَ عَورَتُهَا وَهِيَ لَا تَشعُرُ-، فَادْعُ اللَّهَ لِي -أَي: بِالعَافِيَةِ مِن هَذَينِ الأَمرَينِ-؛ قَالَ: "إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا" صحيح البخاري.

حَرَصَتْ عَلَى عَدَمِ التَّكَشُّفِ وَسَترِ العَورَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ المفَاسِدِ مَا لَا يَخفَى. فَهَذِهِ المرْأَةُ سَوْدَاءُ، لَكِنْ قَلبُهَا أَبْيَضُ. قَدْ تَصْبِرُ عَلَى المرَضِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَستَطِيْعُ الصَّبْرَ عَلَى خَدْشِ الحَيَاءِ، وَجَرْحِ العَفَافِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهَا.

أَلَمْ يَأْنِ لِلنِّسْوَةِ فِي هَذَا الزَّمَنِ العَصِيبِ، أَنْ يَقْتَدِيْنَ بِهَذِهِ المرْأَةِ، وَيَتَرَبَّيْنَ عَلَى العَفَافِ وَالحَيَاءِ؟!

مَظَاهِرُ قِلَّةِ الحَيَاءِ:

- خُرُوجُ النِّسَاءِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يَقُولُ: "سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ... نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ... العَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلعُونَاتٌ..." رواه ابن حبان في صحيحه- السلسلة الصحيحة 6/411. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَا يَدْخُلنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا" رواه مسلم.

يَا سُبحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ! أَينَ عُقُولُ هَؤُلَاءِ؟ أَعُمِّيَتْ أَبصَارُهُنَّ وَبَصَائِرُهُنَّ؟! فَهَؤُلَاءِ النِّسْوَةُ الفَاجِرَاتُ اللَّوَاتِي خَالَفْنَ تَعَالِيمَ الدِّيْنِ وَآدَابَ الإِسلَامِ، فَخَلَعَنَ مَلَابِسَهُنَّ، وَكَشَفْنَ عَنْ سَوَاعِدِهِنَّ، وَلَبِسْنَ المَلَابِسَ الرَّقِيْقَةَ الَّتِي لَا تَسْتُرُ جَسَدًا، وَلَا تُخْفِي عَوْرَةً؛ وَإِنَّمَا تَزِيدُ فِي الفِتْنَةِ وَالإِغْرَاءِ، وَمَشَيْنَ مِشْيَةً، فِيْهَا لَفْتُ أَنْظَارِ الرِّجَالِ، فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ بِالإِسمِ، عَارِيَاتٌ فِي الحَقِيقَةِ. يَنْطَبِقُ عَلَيْهِنَّ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "... وَشَرُّ نِسَائِكُمُ المتَبَرِّجَاتُ المتَخَيِّلَاتُ، وَهُنَّ المنَافِقَاتُ" أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

وَلَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ، وَهُنَّ يَتَبَخْتَرْنَ فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَاتِ، ويَتَسَكَّعْنَ فِي الأَسْوَاقِ وَالمنْتَدَيَاتِ، صَوَّرَهُنَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ" أَيْ: أَنَّهُنَّ مَائِلَاتٌ فِي مِشْيَتِهِنَّ، مُمِيْلَاتٌ لِقُلُوْبِ الرِّجَالِ؛ ثُمَّ عَدَّدَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مِنْ قَبَائِحِهِنَّ: بِأَنَّهُنَّ يُصَفِّفْنَ شُعُورَهُنَّ، حَتَّى يُصْبِحَ شَعْرُ الوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ مِثْلَ سَنَامِ الجَمَلِ فِي الاِرْتِفَاعِ، وَقَدْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ الزِّيْنَةِ؛ وَصَبَغَتْهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الأَصْبَاغِ المغرِيَةِ، وَكَدَّسَتْهُ فَوْقَ رَأْسِهَا كَأَنَّهُ شَاهِقٌ مِنَ الجَبَلِ، أَوْ سَدٌّ عَالٍ مِنْ سُدُودِ الصِّينِ. وَقَدْ خَتَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم هَذَا الحَدِيْثَ الشَّرِيفَ بِمَا يَفْزَعُ لَهُ قَلبُ الإِنْسَانِ، فَقَالَ: "لَا يَدْخُلنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا". وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا

العَذَابِ؟! أَنْ يُحْرَمَ الإِنسَانُ الجَنَّةَ وَنَعِيْمَهَا، وَأَلَّا يَجِدَ رِيحَهَا أَبَدًا، مَعَ أَنَّ رِيحَهَا يُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ؟! اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

- **كَثرَةُ خُرُوجِ المَرأَةِ مِنَ البَيتِ:**

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ المَرْأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ؛ وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا، وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا" رواه الترمذي، قَولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ" أَيْ: زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، وَقِيلَ: أَي: نَظَرَ إِلَيْهَا، لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا.

- **خُرُوجُ المَرأَةِ مُتَعَطِّرَةً:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَجَدَ مِنْهَا رِيحَ الطِّيْبِ يَنْفَحُ، وَلِذَيْلِهَا إِعْصَارٌ -أَي: رِيحٌ تَرْتَفِعُ بِتُرَابٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وتَسْتَدِيرُ كَأَنَّهَا عَمُودٌ-، فَقَالَ: يَا أَمَةَ الجَبَّارِ -نَادَاهَا بِهَذَا الاِسْمِ تَخْوِيفًا لَهَا-، جِئْتِ مِنَ المَسْجِدِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي -أَيْ: مَحْبُوبِي- أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا المَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ" سنن أبي داوود، صححه الشيخ الألباني رحمه الله، -أَي: كَغُسْلِهَا مِنَ الجَنَابَةِ-. هَذَا حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِيمَن خَرَجَت إِلَى المسجِدِ مُتَعَطِّرَةً. فَمَاذَا يَكُونُ حُكمُهُ فِيمَن تَخرُجُ إِلَى عُرسٍ وَنَحوِهِ مُتَعَطِّرَةً؟! فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ.

وَعَنِ الأَشْعَرِيِّ (يَعنِي: أَبَا مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ" رواه النسائي.

- **مَشيُ المَرأَةِ فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ:**

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ -وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ-: "اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ، قَالَ: فَكَانَتِ المَرْأَةُ تَلتَصِقُ بِالجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ" رواه أبو داوود. سُبْحَانَ اللَّهِ! بَادَرْنَ إِلَى تَنْفِيذِ أَمرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، بَلْ بَالَغْنَ فِي ذَلِكَ.

- **وَضعُ المَرأَةِ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا:**

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: خَرَجْتُ مِنَ الحَمَّامِ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "مِنْ أَيْنَ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ؟" قَالَتْ: مِنَ الحَمَّامِ، فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا، فِي غَيْرِ بَيْتِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِهَا، إِلَّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلَّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَنِ" مسند أحمد.

وَعَنْ أَبِي المَلِيحِ الهُذَلِيِّ: أَنَّ نِسَاءً مِنْ أَهْلِ حِمْصٍ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، دَخَلنَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، فَقَالَتْ: أَنْتُنَّ اللَّاتِي يَدْخُلنَ نِسَاؤُكُنَّ الحَمَّامَاتِ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ أَثْيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، إِلَّا هَتَكَتِ السِّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا" رواه الترمذي وابن ماجة. فَيَحرُمُ عَلَى المَرأَةِ أَن تَخلَعَ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا: كَالمسَابِحِ، وَصَالُونَاتِ التَّجمِيلِ، وَالأَندِيَةِ الرِّيَاضِيَّةِ.

وَلتَتَأَمَّل كُلُّ مَنْ سَوَّلَتْ لَهَا نَفْسُهَا، وَأَمْلَى الشَّيْطَانُ لَهَا، بِخَلْعِ الحِجَابِ وَالحَيَاءِ، الحَدِيثَ التَّالِيَ: عنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ... إِذْ قَالَ: "انْظُرُوا! هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟" فَقُلْنَا: نَرَى غِرْبَانًا فِيهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ أَحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فِي الغِرْبَانِ" رواه أحمد.

الأَعْصَمُ: هُوَ أَحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قِلَّةِ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، لِأَنَّ هَذَا الوَصْفَ فِي الغِرْبَانِ عَزِيزٌ قَلِيلٌ.

صُوَرٌ مِنَ الحَيَاءِ المَذمُومِ:

1- تَركُ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: "لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ: أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ" مسند أحمد بن حنبل.

كَأَنْ يَأْكُلَ وَالِدٌ بِشِمَالِهِ، فَيَسْتَحِيَ الوَلَدُ مِن نَهيِ أَبِيهِ عَنِ الأَكْلِ بِالشِّمَالِ حَيَاءً مِنْهُ. فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتْرُكَ الأَمْرَ بِالمَعْرُوْفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، حَيَاءً مِنَ النَّاسِ.

2- مُقَارَفَةُ الإِثْمِ اسْتِحيَاءً مِنَ النَّاسِ:

كَأَنْ تَمُدَّ امْرَأَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ يَدَهَا إِلَى رَجُلٍ فَيُصَافِحَهَا، وَيَزْعُمَ أَنَّهُ اسْتَحْيَا مِنْهَا؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيْدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ" رواه الطبراني والبيهقي، فَمَن صَافَحَ امرَأَةً أَجنَبِيَّةً حَيَاءً مِنهَا، فَلْيَتَذَكَّرِ الحَدِيثَ التَّالِيَ: عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ؛ وَمَنِ التَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ" رواه ابن حبان.

وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا رَضِيَ عَنِ العَبدِ، أَرضَى النَّاسَ عَنهُ؛ وَإِذَا سَخِطَ عَنِ العَبدِ، أَسخَطَ النَّاسَ عَلَيهِ.

3- تَركُ طَلَبِ العِلمِ:

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَتَعَلَّمُ العِلمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ. وَلِهَذَا: فَإِنَّ الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُنَّ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ مِنْ طَلَبِ العِلمِ الشَّرْعِيِّ.

قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: نِعمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنصَارِ، لَمْ يَكُن يَمنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَن يَتَفَقَّهنَ فِي الدِّينِ.

مِمَّ يَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ؟

اعْلَمْ -بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ- بِأَنَّ أَعظَمَ الحَيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي نَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهِ وَإِحسَانِهِ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ، وَلَا نَستَغنِي عَنْهُ طَرفَةَ عَينٍ؛ وَنَحنُ تَحتَ سَمعِهِ وَبَصَرِهِ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ حَالِنَا وَقَولِنَا وَفِعلِنَا شَيءٌ. فَهُوَ الَّذِي خَلَقَنَا، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَنَا، فَنَطْعَمُ مِنْ خَيرِهِ، وَنَتَنَفَّسُ فِي جَوِّهِ، وَنَعِيشُ عَلَى أَرضِهِ، وَنَستَظِلُّ بِسَمَائِهِ؛ وَآلَاؤُهُ غَمَرَتنَا مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحدِ، وَإِلَى مَا بَعدَ ذَلِكَ مِن خُلُودٍ طَوِيلٍ فِي الجَنَّةِ -إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- فَكَيفَ لَا نَستَحِي مِنْهُ؟ وَكَيفَ نُقَابِلُ كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ بِالإِسَاءَةِ؟! وَالعَجَبُ مِمَّن يَعلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا بِهِ مِنَ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يَستَحِي مِنَ الِاستِعَانَةِ بِهَا عَلَى ارتِكَابِ مَا نَهَاهُ عَنهُ!

وَيَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ مِنَ المَعرِفَةِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ وَقُدرَتِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ تَعظِيمُ اللَّهِ فِي قَلبِ العَبدِ، أَورَثَهُ الحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ وَالهَيبَةَ لَهُ، فَغَلَبَ عَلَى قَلبِهِ خَمسَةُ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: ذِكرُ اطِّلاعِ اللَّهِ العَظِيمِ إِلَى مَا فِي قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ، "وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُم" الأحزاب: 51.

ثَانِيًا: وَذِكرُ المَقَامِ غَدًا بَينَ يَدَيهِ.

ثَالِثًا: وَسُؤَالُهُ إِيَّاهُ عَنْ جَمِيعِ أَعمَالِ قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ، "إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَائِكَ كَانَ عَنهُ مَسؤُولًا" الإسراء: 36.

رَابِعًا: وَذِكرُ دَوَامِ إِحسَانِهِ إِلَيهِ، بِأَنوَاعِ الإِحسَانِ وَالإِنعَامِ وَالأَرزَاقِ وَالعَطَايَا، وَهُوَ سُبحَانَهُ كَثِيرُ الإِحسَانِ، فَلَا نِهَايَةَ لِإِحسَانِهِ. "وَمَا بِكُم مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ" النحل: 53.

خَامِسًا: وَقِلَّةُ الشُّكرِ مِنْهُ لِرَبِّهِ، "وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورُ" سبأ: 13.

فَإِذَا غَلَبَ ذِكرُ هَذِهِ الأُمُورِ عَلَى قَلبِهِ، [انبَعَثَتْ] مِنَ العَبدِ قُوَّةُ الحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ، فَاستَحيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قَلبِهِ، وَهُوَ مُعتَقِدٌ لِشَيءٍ مِمَّا يَكرَهُ؛ أَو عَلَى جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ، تَتَحَرَّكُ بِمَا يَكرَهُ، فَطَهَّرَ قَلبَهُ مِنْ كُلِّ مَعصِيَةٍ، وَمَنَعَ جَوَارِحَهُ مِنْ جَمِيعِ مَعَاصِيهِ.

فَيَستَحيِي مِن رَبِّهِ أَن يَرَاهُ عَلَى مَا يَكرَهُ، أَو يَسمَعَ مِنهُ مَا يَكرَهُ، أَو يُخفِيَ فِي سَرِيرَتِهِ مَا يَمْقُتُهُ عَلَيهِ.

فينبغي أن يعلم أن أجمل ما في المرأة حياؤها، قال تعالى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ...." القصص: 25.

أعداء الله علموا أن أكرم ما في المرأة حياؤها، فوجهوا إلى هذا الحياء سهامهم، واستغلوها في الدعاية لأحذية لا بد إلا أن يضع معها امرأة، والدعاية لإطارات لا بد إلا أن يضع معها امرأة في وضع مهين، أو على أغلفة المجلات، حتى أصبح المثل السائد في الغرب (حبة عنب تساوي مائة امرأة) فسارت المرأة المسكينة كالبلهاء وراء الضباع باذلة لحيائها وشرفها.

وحفظ الإسلام للمرأة حياءها يوم فرض عليها الحجاب، وحرم عليها التبرج خارج بيتها فقال تعالى: "وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى" الأحزاب: 33.

والغاية هي إقامة مجتمع نظيف لا تهيج فيه الشهوات ولا تستثار فيه الغرائز مما له الأثر المدمر في إشاعة الفاحشة والجريمة وفقدان مقومات البقاء، وتحقيق رغبة أعداء الله في السيطرة والتحكم.

إن الحياء لا يعني مجافاة الناس في العلاقات الاجتماعية ولا ادعاء ورع كاذب، فالرسول صلى الله عليه وسلم أتى على بعض نسائه ومعهن الصحابية أم سليم –رضي الله عنها– فقال: "ويحك يا أنجشة رويدك سوقًا بالقوارير"، فقال راوي الحديث أبو قلابة: فتكلم النبي بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله: (سوقك بالقوارير) صحيح البخاري.

اللباس والزينة والاحتشام في اللبس

قال تعالى: "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" النور: 31، لما أمر الله عز وجل المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنات بذلك فقال: "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ" عن النظر إلى العورات والرجال بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع.

"وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ" من التمكن من جماعهن أو مسهن أو النظر المحرم إليهن. "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ" كالثياب الجميلة والحلي وجميع البدن كله من الزينة.

ولما كانت الثياب الظاهرة لا بد لها منها، قال: "إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" أي الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها. "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ" وهذا لكمال الاستتار. ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبداؤها يدخل فيها جميع البدن كما ذكرنا.

ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: "إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ" أي: أزواجهن "أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ" يشمل الأب بنفسه والجد وإن علا. "أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ" أشقاء أو لأب أو لأم. "أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ" أي: يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقا.

ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية، أي: النساء المسلمات اللاتي من جنسكن. ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إليها الذمية.

"أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ" فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى أن ينظر لسيدته ما دامت مالكة له كله، فإذا زال الملك أو بعضه لم يجز النظر.

"أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ" أي: والذين يتبعونكم ويتعلقون بكم من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة كالمعتوه الذي لا يدري هل هنالك كالعنين الذي لم يبق له شهوة لا في فرجه ولا في قلبه فإن هذا لا محذور من نظره. "أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ" أي: الأطفال الذين دون التمييز فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجانب. وعلل تعالى ذلك بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك ولا وجدت فيهم الشهوة بعد. ودل هذا أن المميز تستتر منه المرأة لأنه يظهر على عورات النساء.

"وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ" أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن ليصوت ما عليهن من حلي كخلاخل وغيرها فتعلم زينتها بسببه فيكون وسيلة إلى الفتنة. ويؤخذ من هذا ونحوه قاعدة سد الوسائل وأن الأمر إذا كان مباحا ولكنه يفضي إلى محرم أو يخاف من وقوعه فإنه يمنع منه. فالضرب بالرجل في الأرض الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة منع منه.

ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة فقال: "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ" ثم علق على ذلك الفلاح فقال: "لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا. ودل هذا أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة لأن الله هو خاطب المؤمنين جميعا.

وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة، في قوله "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ". أي: لا لمقصد غير وجهه من سلامة من آفات الدنيا أو رياء وسمعة أو نحو ذلك من المفاسد الفاسدة (تفسير السعدي رحمه الله).

ولقد كرَّم الإسلام المرأة وصانها من كلِّ ما يمكن أن يُهينها أو يمسَّ بها في ظلّ المجتمعات التي لا تعرف إلّا ذاتها، ولا تُقدِّس حُرماتها، فقد نزل الإسلام حين جاء على أمّةٍ أبعد ما تكون عن مظاهر التَّديُّن، بل كانت تلك المجتمعات تَعتبرُ المرأةَ سلعةً تُستخدم كأيّ سلعة في الحياة، وعندما يُستغنى عنها تُباع رخيصة لا قيمة لها، إلّا أنّ الإسلام حفظ للمرأة مكانتها السامية، ووضعها في منزلتها الصحيحة؛ فاعتنى بها، وأوجد الحقوق والواجبات التي يجب عليها السعي لتحصيلها وتحقيقها، ولكي تكتمل كرامة المرأة وتزداد قدسيتها، وحتى تنال تلك المنزلة الرفيعة التي أعطاها إيّاها الإسلام، فقد كُلِّفت ببعض الأوامر التي تختلف في طبيعتها عما يُكلَّف به الرجال؛ لما في المرأة من اختلاف في الطبيعة، والشكل، والميل إلى العاطفة دون العقل، وأوجب عليها الالتزام بتلك الأوامر؛ حتى يحفظ المجتمعات من الانحراف والفساد، فإذا التزمت المرأة بتلك الأوامر، أضحت كالملكة تتربّع على عرش الكرامة، ومتى خالفت ما أمرها الله به انتفَت عنها الكرامة وعادت كما كانت سلعةً لا أكثر، فمنشأ الكرامة للمرأة ومرتعها من دينها وبدينها؛ فالدين هو الذي يحفظ حقوقها، وفيه الحماية التامّة لها.

معنى لباس المرأة:

يُراد بلباس المرأة ما تكتسي به وتتحجَّب به عن الناس، والحجاب من الأمور التي تحوي عدداً من المعاني، ويتمُّ تحديد معناه الدقيق بناءً على موضعه في الجملة، أمّا الحجاب هنا فبيان معناه على النحو الآتي:

الحجاب لغةً: مصدر حَجَبَ يَحجُبُ حَجباً وحِجاباً، ويُقصَد به السِّتر والتغطية، والحِجَابُ: هو الشيء السَّاتِر، وحِجابُ القَلْبِ: هو غِلافٌ يَحْجُبُ ويَستر بَيْنَ القَلْبِ وَالبَطْنِ، ويُقال: أَزالَتِ المرأة حجابَها عَنْ وَجْهِها: إذا رفعت النِّقاب أو الخِمارَ، وتكلَّمت من وراء حِجاب: أي مِنْ وَراءِ ساتر.

الحجاب اصطلاحًا: يُقصَد به ما تَستُرُ به المرأة جميع جسدها وتخفي من خلاله زينتها، بما لا يسمح للأجانب عنها الذين يَحرُم عليهم رؤيتها بالاطِّلاع على جسدها، أو رؤية ما يظهر من زينتها ممّا قد يفتنهم بها، ويمكن أن يكون الستر باللباس فيُسمَّى حِجاباً، أو بالبيوت والمنازل ويُسمَّى كذلك حِجاباً، والحِجاب ما يَسترُ جميع البَدَن لا مُجرَّدَ جزءٍ منه.

صفة اللباس الشرعي للمسلمة:

1- يجب أن يكون لباس المرأة المسلمة ضافياً يستر جميع جسمها عن الرجال الذين ليسوا من محارمها. ولا تكشف لمحارمها إلاّ ما جرت العادة بكشفه من وجهها وكفيها وقدميها.

2- أن يكون ساتراً لما وراءه، فلا يكون شفافاً يرى من ورائه لون بشرتها.

3- أن لا يكون ضيقاً يبين حجم أعضائها. ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما: نساءٌ كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهنّ مثل أسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها عباد الله". قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في مجموع الفتاوى (146/22)، وقد فسر قوله صلى الله عليه

وسلم: "كاسيات عاريات" بأن تكتسي ما لا يسترها. فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية. مثل من تكتسي الثوب الرقيق الذي يصف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع خلقها، مثل عجيزتها وساعدها ونحو ذلك. وإنما كسوة المرأة ما يسترها فلا يبدي جسمها ولا حجم أعضائها لكونه كثيفاً وسيعاً. انتهى.

4- أن لا تتشبه بالرجال في لباسها، فقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتشبهات بالرجال. ولعن المترجلات من النساء. وتشبهها بالرجل في لباسه أن تلبس ما يختص به نوعاً وصفة في عرف كل مجتمع بحسبه.

5- أن لا يكون فيه زينة تلفت الأنظار عند خروجها من المنزل، لئلا تكون من المتبرجات بالزينة.

أيتها المسلمة: إن الحجاب يصونك ويحفظ من النظرات المسمومة الصادرة من مرضى القلوب وكلاب البشر. ويقطع عنك الأطماع المسعورة فالزميه. وتمسكي به ولا تلتفتي للدعايات المغرضة التي تحارب الحجاب أو تقلل من شأنه، فإنها تريد لك الشر، كما قال تعالى: "وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا " النساء: 28.

الفتاة المسلمة والزينة:

الزينة بالنسبة للمرأة أمر فطري جبلها الله عليه، وقد اهتم الإسلام بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا، وأباح لها من الزينة ما لم يبح للرجل كالحرير، والذهب، وذلك لتلبية نداء الأنوثة لديها، ولكن مع اهتمام المرأة بالزينة فإنه لم يتركها بدون وضع القيود والضوابط، التي تحقق لها أنوثتها وتحفظها من شرور الخطر ومزالق الطريق. ولكن مما يؤسف له اليوم، أن بعض فتياتنا المسلمات لم يعدن متقيدات بتعاليم الإسلام في موضوع الزينة واللباس، وأصبحت قضية التقليد للكافرات والفاسقات طريقًا سارت عليه بعض الفتيات المسلمات وهناك من قواعد الإسلام وتوجيهاته، وآداب الشريعة الربانية في زينة المرأة المسلمة ما يكفل لها الجمال وفق شرع الله.

-الزينة وأحكام الشريعة:

فزينة المرأة من حيث استعمالها لها ثلاثة أقسام:

أ. زينة مباحة: وهي كل زينة أباحها الشرع وأذن فيها للمرأة لكل ما فيه إظهار جمالها، ويدخل في ذلك لباس الحرير، والحلي، والطيب [العطر]، وغير ذلك (أمام المحارم فقط) وفاعل المباح لا يثاب بفعله ولا يعاقب بتركه، إلا أن يكون المباح وسيلة لغيره من الواجب أو الحرام فيأخذ حكمه.

ب . زينة مستحبة: وهي كل زينة رغب فيها الشارع، وحث عليها، ويدخل في هذا القسم سنن الفطرة كالسواك، ونتف الإبط، والاغتسال ونحو ذلك. والمستحب هو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

ج . زينة محرمة: وهي كل ما حرم الشارع، وحذر منه ونهى عنه وزجر فاعله، ومما تعتبره النساء زينة، كالنمص والوصل للشعر، ومشابهة الكافرات أو الرجال ونحو ذلك، والحرام هو ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه امتثالاً لحكم الشرع.

- الزينة والإسراف:

الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية في كل شيء، والمسلمة الواعية يقظة دائمًا وأبدًا على الاعتدال والتوازن، والمرأة وخصوصًا الشابة تميل بطبيعتها إلى الزينة والاعتناء بمظهرها ولكن يجب ألا يجرها ذلك إلى المبالغة والإفراط. ويجب ألا يغيب عن بالها أو عن بال أوليائها أن

الإسلام الذي حض على الزينة ورغب في الجمال، هو نفسه الذي حذر من الوقوع في براثن الإسراف والخيلاء يقول تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" الفرقان:67.

وقال صلى الله عليه وسلم: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة" [أخرجه البخاري معلقًا كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ"].

والذي يجب أن تعلمه جميع نساء الإسلام أن الله تعالى قد امتن على عباده بالمال، وجعله قيامًا لمصالحهم، ووضع الضوابط لاستعمال هذا المال، وقد وضع أيضًا القيود في إنفاقه، فصاحب المال ليس حرًّا في غله أو تبذيره كيف يشاء، يقول تعالى: "وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا" الإسراء:29.

والإسراف تصرف ينبئ عن الأنانية والأثرة وإذا كانت الزينة للتكبر والخيلاء على الضعفاء، فهذا حرام قد نهى عنه الشارع وزجر. والمسلمة مطالبة بحفظ وقتها، ويجب عليها أن تحفظ عمرها فيما يعود عليها بالنفع في الدين والدنيا، وإضاعة الساعات الطوال أمام المرآة وتسريح الشعر، هذا مضيعة للوقت والعمر نهى الشارع عنه، لأن الإسلام جعل الزينة وسيلة وليست غاية، وسيلة لتلبية نداء الأنوثة في المرأة وللظهور أمام زوجها بالمظهر الذي يجلب المحبة ويديم المودة.

– الزينة والزوج:

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي النساء خير قال: "التي تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره" أخرجه النسائي وهو حديث حسن صحيح.

إن تزيين المرأة نفسها لزوجها من العوامل المهمة التي تساعد على استقرار البيت، وجلب المودة بين الزوجين ودوام المحبة والوئام ومما ينبغي للمرأة الالتزام به شرعا وهو واجب عليها، وحق للزوج لا يسقط، أن تتزين، وتتجمل في بيتها، وأن تستعمل ما شاءت من أدوات الزينة، والتجمل من ثياب وحلي، وعطور، وكحل، وصبغة، وغيرها. وإهمال المرأة أمر الزينة للزوج يعد تقصيرًا فاحشًا وربما كانت المرأة لا تشعر به لاعتقادها ارتفاع الكلفة بينهما، ولكن ذلك له أسوء الأثر على الزوج وعلى العلاقة الزوجية. وليس القصد من الزينة للزوج هو إضاعة وقت المرأة، وإنما القصد حثها على النظافة والترتيب، ويصاحب ذلك طلاقة الوجه وحسن العشرة، والنظافة أهم وألزم للمرأة من الجمال، والمرأة التي تهمل نظافة نفسها، أو منزلها، أو أطفالها تبعد زوجها عنها بإرادتها.

ومما ورد في وصية أمامة بنت الحارث: فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح، واعلمي أي بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

الوفاء للزوج

مما لا شك فيه أنه انتشرت بعض مظاهر التطفيف المذموم في أخلاق كثير من المسلمين في هذه الأيام بشكل كبير؛ فقد يتبادل الزوجان المحبة، والأصدقاء الود، والأقارب الحب؛ ما دامت الديار عامرة، وأهدافهم الدنيوية محققة، فإذا ما باعدت الأيام بينهم، نسي كل منهم صاحبه وانشغل بحياته؛ فالميت لا يعود، فلا يُذكر بعد موته إلا أياماً، وربما يُذكر فترة قصيرة، لكنه يُنْسَى بعد ذلك طويلاً، ولا يتذكر المودة والمحبة وآصرة الرابطة الإيمانية والأخوية إلا كل صاحب خُلق رفيع، ووفاء غير منقطع، ومن أجل ضعف التخلق بهذا الخلق الكريم كانت هذه الكلمات.

معنى الوفاء:

لغةً: الوفاءُ ضد الغَدْر، يقال: "وَفَّى بعهده وأَوْفَى"، بمعنى، ووفى بعهده يفي وفاءً، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.

اصطلاحًا: الوفاء هو: ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء. وقيل: هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه، والخروج مما يضمنه، وإن كان مجحفاً به.

من صور وفاء الزوجة لزوجها:

1- الطاعة:

قالت زوجة لزوجها في بداية زواجهما: لا أوامر، فضحك وقال: "فكيف أطلب منكِ شيئًا؟!" قالت: "تطلب ما تريد بدون توجيه أوامر!". هذه الزوجة فهمت معنى الطاعة على أنها مجرد مجموعة أوامر: ولكن لم تفهم الطاعة من الناحية الشرعية؛ فالطاعة هي التزام الأوامر واجتناب النواهي استجابة لأمر الله، ومن هنا؛ كان لزامًا على كل زوجة أن تصحح إدراكها لمفهوم الطاعة الزوجية، فطاعة المرأة لزوجها هي أمر شرعي محض، وهي طاعة لله أولًا ثم طاعة لزوجها المخلوق ابتغاء رضا الله سبحانه وتعالى. وبرأيي أن هذا المبدأ هو اختبار وامتحان للمرأة المسلمة: لأن طاعة المرأة لزوجها من طاعتها لربها، وطاعة الله هي حقيقة الإيمان التي عندها يظهر من بكى ممن تباكى، فإيمان بلا طاعة هباء، وإسلام بلا استجابة غثاء، فإن ساق الإيمان لا تقوم إلا على جذر الاستسلام المطلق لمنهج الله تعالى في كل شأن من شؤون الحياة، سواء أكان ذلك في عالم الشعور والإحساس، أم في عالم الفعل والجوارح.

طاعة الزوجة لزوجها تكمنُ باستجابتها لِما قرّره الشرع عليها من واجبات؛ فعندما تؤدّي ما عليها من واجبات تكون بذلك زوجةً صالحةً، ومن واجبات الزوجة الصّالحة تجاه زوجها، وحقوقه عليها، هذا الحقّ منبثقٌ من قِوامة الزوج على الزوجة؛ فالقِوامة تشمل الأمر والرّعاية وإسداء النّصح، وعلى الزوجة أن تمتثل له في أمره، إلّا ما كان في معصية الله تعالى، ويجب عليها أن تُقيم مع زوجها في المسكن الذي آمنها فيه على نفسها ومالها، وإذا خرجت منه بغير إذنه تكون زوجة ناشزاً، وعليها أن تكون مُحسِنة لأهله، وحافظةً لماله.

2- حفظ الأسرة:

إن دور المرأة بلا شك خطيرٌ وعظيم في المجتمع الإسلامي؛ فدورها لا ينتهي عند كونها نصف المجتمع، وإنما هي أيضًا تربِّي النصفَ الآخر، وتؤثِّر في الرجال الذين يتولَّون قيادةَ الأمَّة الإسلامية؛ لذا فهي تقف بجوارِ الرجل تشدُّ من أزره، وترضعه المبادئَ والقِيَم التي يتربَّى عليها، وتحميه بصدرِها في صِغَره؛ ليحميها هو في كِبَرِه، ويدافع عن مبادئ الإسلام والمجتمع بما شبَّ عليه؛ فالنساء هنَّ -كما قال صلى الله عليه وسلم-: "شقائق الرجال" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وحسنه الألباني.

وفي قول شاعرنا حافظ إبراهيم رحمه الله كل الصدق حين يقول:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أَعْدَدْتَهَا = أعددتَ شعبًا طيِّب الأعراقِ

الأم هي المدرسة الأولى التي يتربَّى في حضنها رجال ونساء المستقبل فهي نبراس البراعِم، وقدوة الأجيال القادمة، وحصاد غرسها؛ لتهديهم مؤمنين نافعين للأمَّة الإسلامية.

فاختيار الأمِّ -وهي عماد الأسرة- غاية في الأهمية، فإذا صلحَت الأمُّ صلحت الأسرةُ والمجتمع، وإذا فسدَت فسدت الأسرةُ والمجتمع، فهي الحاضنة لأبنائها والمؤتمَنة عليهم؛ لذا فقد اهتمَّ الإسلام باختيار الزوجة الصالحة وأمِّ المستقبل.

3- الصبر:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وجدنا خير عيشنا بالصبر"، وقال أيضًا: "أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا".

من مظاهر صبر المرأة الصالحة:

1- حُسن خُلقها مع زوجها، وحُسن الظن به.

2- لا تغتابه أو تنال به، ولا تدع الفرصة لقريب أو بعيد أن يغتابه أو ينال به.

3- القيام بحقوقه الزوجية خير قيام.

4- الاهتمام بتربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة.

5- الإقبال على كتاب الله عز وجل، وذكره سبحانه وتعالى، والالتزام بالرفقة الصالحة حتى لا يكون للهم والغم عليها سبيلًا.

6- ألا تطلبه بما يفوق طاقته من النفقة ونحوها.

7- الحرص على طلب مرضاة الزوج، كما حثها على ذلك الشرع، ولا تتكاسل عن ذلك.

إن المرأة الصالحة إذا ما أخذت بالأسباب المعينة لها على الصبر، أعانها الله عز وجل.

4- الحداد عليه عند الموت:

أوجب الدين الإسلامي على المرأة الأرملة التي توفي عنها زوجها مدة زمنية تجلس فيها بمنزلها تسمى العدة، وأثناء هذه الفترة التي تسمى العدة لا يجب على المرأة أن تكشف نفسها على من هم محرمين عليها في الشريعة الإسلامية.

وقد ذكر وجوب عدة المرأة الأرملة التي توفي عنها زوجها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" البقرة: 234.

قال تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" النساء: 34.

يخبر تعالى أن "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ" أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا، بالإنفاق عليهن والكسوة والمسكن. ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: "بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهم.

فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة:

- من كون الولايات مختصة بالرجال والنبوة والرسالة واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجُمَع.

- وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله.

- وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء. ولعل هذا سر قوله "وَبِمَا أَنْفَقُوا" وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة.

فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته وهي عنده عانية أسيرة. فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

ووظيفتها القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها، فلهذا قال: "فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ" أي: مطيعات لله تعالى، "حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ" أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب، تحفظ بعلها بنفسها وماله وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن لا من أنفسهن فإن النفس أمارة بالسوء ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه.

ثم قال: "وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ" أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل. "فَعِظُوهُنَّ" أي ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية. فإن انتهت فذلك المطلوب وإلا فهجرها الزوج في المضجع بأن لا يضاجعها ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود. وإلا ضربها ضربًا غير مبرح.

فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم "فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر.

"إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم كبير الذات والصفات.

(تفسير السعدي رحمه الله).

الغيــرة

الغيرة هي أميز ما تتميز به المرأة فهي من الصفات التي فطرت عليها، ولكنها تتفاوت بين امرأة وأخرى. فالله سبحانه وتعالى خلق المرأة وكتب الغيرة عليها وركبها في طباعها. وهذه الغيرة الحاصلة للنساء قد تخرجهن عن دائرة العقل وتدبر العاقبة فيحصل بذلك ما لا يحمد عقباه.

والغيرة خلق كريم جبل عليه الإنسان السوي الذي كرمه ربه وفضله، وقد أعلى الإسلام قدرها وأشاد بذكرها، ورفع شأنها حتى عد الدفاع عن العرض والغيرة على الحريم جهادا يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس، ويجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة.

فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد" رواه أبو داوود والترمذي.

معنى الغيرة:

والغَيْرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين (تحفة الأحوذي).

وقال الكفويّ: الغيرة: كراهة الرّجل اشتراك غيره فيما هو من حقّه، وذكر الرّجل هنا على سبيل التّمثيل، وإلّا فإنّ الغيرة غريزة تشترك فيها الرّجال والنّساء، بل قد تكون من النّساء أشدّ (موسوعة نضرة النعيم).

حكم الغيرة:

الغيرة في موطنها والاعتدال فيها بالنسبة للرجال والنساء من جملة الأمور المحمودة. والمعاشرة بالمعروف تقتضي ذلك، ويجب على كل طرف أن يقدر غيرة صاحبه عليه، وما من أمر إلا و له طرفان ووسط، ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن من الغيرة ما يحب الله و منها ما يبغض الله وإن من الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة وأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل في القتال واختياله عند الصدقة وأما الخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل في البغي والفخر" رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني.

تجاوز حد الاعتدال في الغيرة:

إذا زادت الغيرة عن حدها كانت نقمة على الشخص وعلى من حوله، فكثير مما يسمى جرائم العرض والشرف قد ترتكب بسبب الشائعات، مما ترتب عليه إزهاق الأرواح في بعض الأحيان دون وجه حق ودون تثبت بسبب الغيرة القاتلة، وهذا مشاهد في الكثير من البقاع. وبعض الأزواج مريض بمرض الشك المر الذي يحيل الحياة الزوجية إلى نكد لا يطاق وقد "نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم ويطلب عثراتهم" رواه مسلم.

فلا يصح أن يسيء الرجل الظن بزوجه، وليس له أن يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها؛ فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية ويقطع ما أمر الله به أن يوصل.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا تكثر الغيرة على أهلك فترامى بالسوء من أجلك. وقال معاوية رضي الله عنه: "ثلاث من خصال السؤدد: الصفح واندماج البطن وترك الإفراط في الغيرة". فلا بد من الاعتدال، وحده ما وردت به النصوص الشرعية. وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يغار والمؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله" رواه البخاري.

فإذا انتهكت النساء ما حرم الله وجبت الغيرة وكانت محمودة، وترك تلك الغيرة مذموم بل يمنع صاحبه من دخول الجنة، كما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر"قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: "الذي لا يبالي من دخل على أهله" قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: "التي تشبه بالرجال" صحيح الترغيب.

نماذج من غَيرة النساء:

وقد وقعت هذه الغيرة من فاضلات النساء وأزواج الأنبياء وأمهات المؤمنين؛ ومن ذلك:

ما حدث للسيدة سارة زوج نبي الله إبراهيم –عليه السلام– من الغيرة من هاجر وولدها إسماعيل، وهذه الغيرة هي التي دفعت إبراهيم عليه السلام أن يبعدهما عن نظر سارة؛ "فإن سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته تعالى ورأفته" (زاد المعاد).

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة يومًا: "أغرت؟ فتعجبت وقالت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك" رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارت أمكم". ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت. رواه البخاري.

أحداث صنعتها الغيرة:

ذكر الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في حوادث سنة ست وثمانين ومائتين: "قال في المنتظم: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة:

أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري (مدينة في إيران اليوم)، فادَّعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار، فأنكره، فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا؟ فلما صمَّموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا، هي صادقة فيما تدَّعيه". فأقر بما ادَّعتْ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حِلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة" اهـ. زاد الحافظ السمعاني في "الأنساب": "فقال القاضي وقد أعجب بغيرتهما: يُكْتَبُ هذا في مكارم الأخلاق" اهـ.

ضابط الغيرة:

نبدأ أولًا بضابط الغيرة ألا وهو التوسط فلا إفراط ولا تفريط؛ فالإفراط في الغيرة يؤدي إلى نتائج كارثية قد تستحيل معها الحياة الزوجية.

فالمرأة التي تسرف في الغيرة على زوجها ترتكب أفعالًا تضايق الزوج كالتجسس على مكالماته وفتح هاتفه وقراءة رسائله والسؤال عنه في أوساط عمله وتتبع تحركاته وغير ذلك من الأفعال التي لا يجد معها الزوج إلا النفور من زوجته، وقد يتمادى بعض الأزواج فيفعلون ما يثير الشك في نفوس زوجاتهم نكايةً فيهن وانتقامًا.

فالغيرة التي بدون دليل وإنما هي محض شكوك وظنون وأوهام هي غَيرة مذمومة لا يحبها الله سبحانه وتعالى، كما في الحديث الذي صححه الألباني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "منَ الغَيرةِ ما يحبُّ اللَّهُ ومِنها ما يُبغِضُ اللَّهُ، فأمَّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمَّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ".

لذلك:

على الزوجة العاقلة أن تصرف نظر زوجها إلى أمر آخر إن بدر منها فعل من أفعال الغيرة وألا تتمادى في غيرتها، كما فعلت عائشة رضي الله عنها في نهاية الموقف السابق؛ فقد صرفت الموضوع إلى الحديث عن كيفية الاستغفار لأهل البقيع؛ قالت: قلتُ: كيف أقول لهم؟ يا رسولَ اللهِ! قال: "قولي: السلامُ على أهلِ الدِّيارِ من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللهُ المستقدمين منا والمستأخِرين. وإنا، إن شاء اللهُ، بكم لَلاحقونَ" أخرجه مسلم.

وعلى الزوجة أن تروض صفة الغيرة في نفسها وأن تقلل منها قدر الإمكان، وقد كان سلفنا الصالح يوصون بناتهم بذلك: "إياك والغَيْرة فإنها مفتاح الطلاق" (عيون الأخبار لابن قتيبة).

حفظ اللسان

قال الله تعالى "مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" سورة ق: 18.

المعنى التفسيري للآية:

ما يلفظ من قول :أي ما يتكلم الإنسان من كلام فليفظه أي يرميه من فِيه (فمه)

إلا لديه :أي لديه ملك

رقيب :حفيظ يكتب أقواله

عتيد: مهيأ لذلك حاضر عنده لا يفارقه.

نعمة اللسان:

منَّ الله علينا بنعم لا تعد ولا تحصى من بينها الجوارح لكل منها وظيفتها ويعد اللسان واحدة منها ووظيفته التذوق والكلام، قال الله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ" سورة البلد : 8، 9.

والكلام الخير أصل من أصول محض إيماننا فالإيمان قول وعمل، ولشكر نعمة اللسان حفظ اللسان من كل ما يغضب الله.

إن من أعظم الدلائل والشواهد الظاهرة على تقوى المؤمن حفظ لسانه فلا يتكلم إلا بالخير وبما يرضي الله ولا يخوض مع الخائضين ولا يلغو مع أهل اللغو، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت..." رواه البخاري ومسلم.

خطورة اللسان:

روى الترمذي في السنن عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" حديث حسن صحيح.

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضى الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا أَصْبح ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتِّقِ اللَّه فينَا، فَإِنَّما نحنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ استَقَمْنا، وإِنِ اعْوجججت اعْوَججْنَا" أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالى مَا يُلقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجاتٍ، وَإِنَّ الْعبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوي بهَا في جَهَنَّم" رواه البخاري.

كل هذه الأدلة والكثير منها تدل على مدى خطورة تفلت اللسان وأهمية حفظه من الكلام الفاحش ولغو الحديث.

يا معشر النساء!

إن أكثر الناس كلامًا هم النساء، لا ينقطع لهن كلام ولا تهدأ ألسنتهن حركة فإذا أحصينا كلامهمن وجدنا جُله من اللغو الضائع، وقد نبه رسول الله النساء من فحش الكلام كاللعن وكثرة الشكاية وبين لهن إن ذلك من أسباب دخول النار. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرِ....." رواه البخاري.

فعلى المرأة أن تحمي نفسها من الوقوع فيها وتحافظ على لسانها فلا تقول إلا ما يرضي الله تعالى.

حلي المرأة الحافظة للسانها:

والمرأة الحافظة للسانها تتميز وتتحلى بما يلي:

1. **تجنب الجحود وكفر العشير**: مما تنهلع له النفس المسلمة وتمتلئ رعبًا من عواقب الجحود ونكران الإحسان "خاصة للزوج" فهو من أسباب دخول النساء النار وكثرتهن فيها، فعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" صحيح البخاري.

فعلى المرأة المسلمة أن تعي خطورة هذا الأمر و وتنفر منه وتتحلى بالاعتراف بالجميل وإسداء الشكر لكل من صنع لها معروفًا وبذلك تشيع المودة والألفة وتتوثق عرى الروابط الأخوية بين أفراد أسرتها ومجتمعها.

2. **صدق الحديث**: المرأة المسلمة تكون صادقة الحديث مع الناس جميعًا صغيرهم وكبيرهم لأنها تلقت مبادئ الإسلام التي تحض على الصدق وتصوره رأس الفضائل ومكارم الأخلاق المفضي إلى الجنة، أما الكذب فهو منبع الرذائل ومفضي إلى النار العياذ بالله.

3. **ترك الغيبة والنميمة واحتقار الآخرين**: المرأة المتربية على مبادئ دينها القويم والتي تخشى الله في السر والعلن حريصة ألا يصدر من لسانها كلمة غيبة أو نميمة تغضب بها ربها بأي شكل من أشكالها سواءً باللسان أو بالغمز أو اللمز ونحوهما أو احتقار الآخرين فكل ذلك يؤدي إلى قطيعة الأرحام والإفساد بين الناس وعاقبته الخزي في الدنيا والآخرة.

4. **ترك النياحة**: لقد ربى رسول الله المسلمات على حفظ ألسنتهن "خاصة عند المصيبة" عن التلفظ بأي كلمة لا ترضي الله تعالى وتظهر عدم الرضا بالقضاء والقدر وخص في ذلك النياحة وصرح بحرمتها. ففي رواية عن أم عطية رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت "أخذ علينا رسول الله عند البيعة أن لا ننوح" صحيح البخاري، وجاء في الصحيحين عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم "لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوى الْجاهِلِيَّةِ" رواه البخاري ومسلم.

5. **لا تسيء الظن بالآخرين ولا تخوض في أعراضهم ولا تتبع عوراتهم**: فالمرأة المسلمة تنزه لسانها عن الخوض في أعراض الناس وقذف المحصنات وإساءة الظن بهم وتتبع عوراتهم والتجسس عليهم بالسمع والبصر، فكل ذلك يؤدي إلى إشاعة الفاحشة وانتشار المعاصي والتفريق بين الأحباب، وإنما تحسن الظن بالناس وتتواضع لهم وتستر عوراتهم.

أختاه تعرفي على فضائل حفظ لسانكِ:

عن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة" رواه البخاري، فمن ضبطت لسانها بلغت أعلى درجات الإيمان وفازت بالجنان، وقيل من عدّ كلامه من عمله نجا. وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله "رأيت التقوى في كل شيء سهل إلا في اللسان". فما السبيل يا تُرى؟!

سبل حفظ اللسان:

مما يعينك يا أختي الغالية على حفظ لسانك ما سيأتي:

1. **الخشية من الله:** وتتحقق بمعرفة الله وإدراك عظمته وتذكر نعمه، وتذكر الملك الرقيب العتيد الذي يكتب كل ما تلفظين به حتى الأنين.

2. **استشعار مراقبة ومعية الله:** تصوري أختي أن هاتفكِ مراقب من أحد ما أكيد ستنتقي أفضل الكلمات وأبلقها أليس كذلك؟ ولله المثل الأعلى فبالله عليكِ فكيف وأن الله يراقبك.

3. **طلب العون من الله:** لن نوفق إلى أي طاعة إلا بالله فاستعيني به واسأليه أن يحفظ لسانك من كل ما لا يرضيه مع الإلحاح بالدعاء ويقين الإجابة.

4. **مخالطة الصالحين وأصحاب الهمم العالية:** مما يعين على حفظ اللسان مجالسة الصالحات وأصحاب الهمم بحضور مجالس الذكر وطلب العلم معهن (علوم الدين والدنيا)، والانشغال بالأعمال الخيرية والدعوية والتعاون معهن على الطاعات.

5. **ذكر الله:** فإن لم تشغلي لسانكِ بقول الحق وذكر الله والدعوة إليه وما ينفع العباد في دينهم ودنياهم ستقعين لا محالة في وحل الغيبة واللغو وفلت منكِ لسانك.

6. **اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم:** فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، كثير الذكر، قليل الضحك، فعن سماك بن حرب، قال: "قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم، فيضحكون، وربما يتبسم" رواه أحمد وصححه الألباني.

فهل تراكِ اتبعتِ هدي حبيبكِ صلى الله عليه وسلم؟

وبعد كل ما سبق ذكره ألم تشتاقي إلى الصمت أولم تشتهي حفظ لسانك؟!

إقامة الشعائر الدينية

قال الله تعالى: "ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ" سورة الحج: 32.

المعنى التفسيري للآية:

أي ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمراد بالشعائر إعلام الدين الظاهرة ومنها المناسك كلها، ومعنى تعظيمها أي إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد ومنها الهدي والبدن فتعظيمها باستحسانها واستسمانها.

وتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

إذًا شعائر الله هي أعمال الدين وأعلامه الظاهرة فكل ما كان ظاهرًا من أمر الدين يدخل في شعائر الله من صلاة وأذان ومناسك العمرة والحج وتعظيم شهر رمضان والأشهر الحُرم إلى غيرها من الشعائر التي شرعها الله تعالى.

و المرأة المسلمة مثلها مثل الرجل على حد سواء مكلفة بإقامة شعائر دينها إلا ما خصها الله به من بعض الشعائر نظرا لطبيعتها الخاصة.

كيف يتسنى للمرأة إقامة شعائر الله؟

1. كل ما سبق ذكره في هذا الكتيب من خلق العفة والحياء ولبس الحجاب وطاعة الزوج والوفاء له، وحفظ اللسان من السب والشتم والسخرية وكل كلام باطل، وكل خلق حسن أمركِ ربك به.

2. **إقامة الصلاة وصوم رمضان وأداء العمرة والحج:**

فرض الله الصلاة وصوم رمضان على كل المؤمنين رجالاً ونساءً، فحري بكِ يا غالية أن تحرصي على إقامة صلاتكِ على أكمل وجه وتحافظي على أدائها في وقتها، إلا اذا طرأ عليك العذر الشرعي –نزول دم الحيض– فحينها واجب عليكِ الامتناع عن الصلاة والصوم إلى أن تطهري ولكِ أن تقضي أيام رمضان في أيام أخر وكذلك عند أداء مناسك العمرة والحج تمتنعين عن الطواف حتى تطهرين، أما ما يتعلق بمنسك حلق الرأس فالمرأة تقص شعرها قدر أنملة فقط، وهي غير مطالبة بالرمل والهرولة أثناء الطواف والسعي أما باقي النسك من هدي وبدن وغيره فتتساوى مع الرجل.

3. **السفر برفقة محرم:**

سواء كان لأداء عمرة أو حج أو لأمور دنيوية فلا يجوز للمرأة السفر لوحدها بل لا بد من وجود محرم معها أو زوج حفاظًا عليها من كل أذى والبعد عن مواطن الشبه والاختلاط بالرجال والخلوة بهم وكل ما يكون مقدمة للزنا العياذ بالله.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلْ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ" أخرجه البخاري، وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "نَهَى أَنْ تُسَافِرَ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ إِلَّا وَمَعَهَا زَوْجُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ" أخرجه البخاري.

4. اتباع الجنائز للرجال دون النساء:

المرأة المسلمة المتمسكة بدينها لا تتبع الجنائز على خلاف الرجال الذي حثهم الإسلام على اتباع الجنازة وتشييعها، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم نهي كراهة كما أخبرت بذلك أم عطية بقولها: "نهينا اتباع الجنائز ولم يعزم علينا"، أي من غير تحريم لكن يجدر بالمرأة العاقلة طاعة أمر الرسول وإن لم يعزم عليها بالتحريم آخذة بالأولى والأفضل لها نظرًا لطبيعتها الجسدية والنفسية وضعفها لتحمل مصيبة وفاجعة الموت وخشية اختلاطها بالرجل ومنافسته في أمر هو أولى منها به وأقدر عليه.

5. الاستئذان:

المرأة التي نهلت من معين الإسلام الصافي لا تدخل بيتًا قبل أن تستأذن وتسلم على أهل ذلك البيت، إلا بيتا فيه رجال أجانب فلا تدخل واستئذانها لا يجوز إلا على النساء أو على من يجوز رؤيتهم من الرجال –زوجها ومحارمها– تنفيذا لأمر الله ورسوله، والاستئذان يكون ثلاثًا فإن لم يؤذن لكِ فارجعي دون أن تحملي في قلبك شيئًا على أهل ذلك البيت فلهم عذرهم والله أعلم بهم. وإن كانت المرأة متزوجة فواجب عليها طلب الإذن من زوجها عند خروجها حتى إلى المسجد.

وكل ذلك وقاية لكِ من الوقوع في الحرمات وإثارة الشهوات والمشاعر وتجنبًا للاختلاط بالرجال والخلوة بهم، وحفاظًا على أسرار البيوت وسترًا للعورات.

6. الجود والكرم:

ربى النبي صلى الله عليه وسلم نساء أمته على العطاء وتوقي الشح، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ "خَرَجَ النَّبِيُّ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لَمْ يُصَلِّ قَبْلُ وَلا بَعْدُ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَصَدَّقُ بِخُرْصِهَا وَسِخَابِهَا" صحيح البخاري، الخرص أي قراط الأذن والسخاب قلادة الحلق. وفي حديث آخر عن ابن عباس أيضا: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى يَوْمَ العِيدِ رَكْعَتَيْنِ، لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهما وَلا بَعْدَهما، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلالٌ، فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي قُرْطَهَا" صحيح البخاري، فتصدقي ولا تبخلي على نفسك.

7. طلب العلم:

من الضروري أن تحرص المرأة المسلمة على معرفة الله وعباداته وكيفية أدائها والحقوق الواجبة عليها ولها والآداب والأخلاق التي تتحلى بها والإقبال على العلوم الدنيوية كذلك حتى تكون على بصيرة وعلى خشية بالله وتنفع أسرتها ومجتمعها فهي مربية للنشء.

8. أنوثة المرأة:

قال تعالى: "وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ" سورة النجم: 45.

كوني أنثى يا غالية كما خلقك الله واختار لكِ أن تكوني أنثى ولا تتشبهي بالرجال لا في الملبس ولا في الصورة ولا في الكلام ولا في المشي. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال" رواه البخاري.

9. الرفق والرحمة:

كوني يا غالية رقيقة القلب، فمن طبيعة المرأة المسلمة أن تكون رفيقة رحيمة خاصة على من حولها من أهل وزوج وأبناء وغيرهم فليكن الرفق حيلتك والرحمة شعارك لتعيشي حياة هنيئة تسودها المودة وينشأ أبنائك في صحة نفسية عالية وروح إيمانية عميقة.

10. النظافة والتجمل:

كوني طاهرة القلب من الحسد والأضغان وطاهرة البدن والثوب والمكان من الأدران. واستني بهدي حبيبك صلى الله عليه وسلم في استواكه وحبه للطيب مع الحذر من الخروج إلى الشارع وأنتِ متعطرة فهذا لا يجوز –بل تطيبي في بيتك فقط وبين بنات جنسك ومحارمك–. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ" أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني، و جاء في الحديث: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ" أخرجه ابن حبان وابن خزيمة وصححه الألباني. فالواجب على المرأة المسلمة إن خرجت للحاجة أن تخرج بالضوابط الشرعية مستترة محتشمة غير متعطرة.

11. تحقيق العبودية لله تعالى:

حيث توجهي أعمالك كلها الحسية والقلبية لله تعالى فلا تعبدي إلا إياه ولا تستعيني وتستغيثي إلا به ولا تتوكلي إلا عليه ولا تسألي إلا هو وليكن مبدئكِ وشعاركِ في الحياة قول الله تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" سورة الأنعام: 162.

فكلمة محياي ومماتي تشمل جميع الأعمال الدنيوية والأخروية وإخلاص النية لله وبهذا تكون أعمالك التي تزاولينها في حياتك اليومية عبادات تتقربين بها إلى الله من خدمة المنزل والوالدين والزوج ورعاية وتربية الأولاد، فتحفظي وقتكِ وتستثمري عمركِ وتصبح أعمالك ذات أثر فعال في نجاحكِ وفلاحكِ في الدنيا والآخرة.

التحدث بصدق ووضوح

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" سورة التوبة: 119.

المعنى التفسيري للآية:

أي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" باللّه، وبما أمر اللّه بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى اللّه تعالى، باجتناب ما نهى اللّه عنه والبعد عنه.

"وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة.

معاني الصدق:

الصدق لغةً: مشتق من القوة في الشيء والصلابة فلا يتصف بالصدق إلا القوي. وقال الماوردي: الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

واصطلاحا: هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه.

الصدق هو مطابقة اللسان للواقع ومطابقة الظاهر للباطن ومطابقة الباطن للحق ومضي العزيمة إلى حيث عزم صاحبها لا تنقطع ولا تفتر حتى تبلغ منتهاها.

أنواع الصدق:

والصدق يشمل:

1. **صدق اللسان:** فلا تتكلم الصادقة إلا بالحق، ولا تقول إلا صدقًا.
2. **صدق الأعمال:** فالصادقة تدل أعمالها على ما في باطنها فالذي تظهر ما لا في باطنها كلابسة ثوب الزور، أي مطابقة الأقوال مع الأفعال والصدق في العمل يقتضي أن يكون العبد مطيعًا لأمر ربه متبعا لرسوله.
3. **صدق العزيمة:** فالصادقة تمضي عزيمتها وتتوكل على الله ولا تقطعها حتى تنال مبتغاها.
4. **صدق النية:** فلا تنوي الصادقة بشيء إلا وجه الله وحده وإن قصدت غير الله كانت كاذبة.

يقول ابن القيم –رحمه الله– وهو يتحدث عن منزلة الصدق: "وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين..."

دواعي الصدق:

لخصها الماوردي –رحمه الله– في أدب الدين والدنيا فقال أما دواعي الصدق فمنها: العقل؛ لأنه موجب لقبح الكذب، لا سيما إذا لم يجلب نفعا ولم يدفع ضررا، والعقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسنا، ويمنع من إتيان ما كان مستقبحا.

ومنها: الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب بل قد جاء الشرع زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب؛ لأن الشرع ورد بحظر الكذب وإن جر نفعا أو دفع ضررا.

ومنها: المروءة فإنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق؛ لأنها قد تمنع من فعل ما كان مستكرها، فأولى من فعل ما كان مستقبحا.

ومنها: حب الثناء والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم.

صدق المرأة المسلمة وأنَّا لها التحلي به:

إن أحد الصفات اللازمة للمرأة المسلمة، لكي تنعم بالسعادة في الدنيا والآخرة هي: صفة الصدق، وقد أمرها ديننا الحنيف بالحرص على الصدق في الأقوال والأفعال والأحوال، والصدق زينة الحديث ورمز الاستقامة والصلاح، وسبب النجاح والنجاة لذلك أمرنا به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

في الصحيحين عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا".

الصدق مع الزوج:

إن المرأة المسلمة تدرك أن الصدق هو قوام الحياة الزوجية السليمة، وأنه لا غنى عنه بأي شكل من الأشكال، كما أنه ضروري لإيجاد التفاهم وحصول المودة.

كما أن الكذب وعدم المصارحة من أهم أسباب ضعف الثقة، فالزوجة التي اعتادت الكذب، وعدم الاعتراف بالخطأ: تعطي لزوجها المبرر على ضعف ثقته بها وبتصرفاتها وعدم تصديقها، وإن كانت صادقة، والزوج الذي يكذب: يعطي الدليل لزوجته كذلك، ولو التزم الزوج وكذلك الزوجة: الصدق والمصارحة لخفت المشكلات بينهما. والثقة لا تعني الغفلة، ولكنها تعني الاطمئنان الواعي، وأساس ذلك الحب الصادق، والاحترام العميق. وبناء ذلك يقع على الطرفين، والمصارحة تدفع إلى مزيد من الثقة التي هي أغلى ما بين الزوجين.

الصدق هو أساس الحياة الزوجية وهو العمود الفقري في إقامة دعائم حياة أسرية سليمة خالية من الشكوك والأمراض، التي قد تهدد كيان الأسرة بالانهيار. وأنه إذا ارتكزت الحياة الزوجية عليه: كانت حياة هادئة هانئة. أما إذا أقيمت على عدم المصارحة: فإنها تكون حياة تعيسة يفقد خلالها كلا الزوجين ثقته في الآخر، ويجب أن يبدأ الصدق في العلاقة من بداية العلاقة بينهما، أي من الخطوبة.

كان لسيدنا بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أخ يريد الزواج من امرأة من قبيلة مخزوم، وهي قبيلة عريقة في حسبها ونسبها، ولم تكن ترضى بمثل بلال صهرًا لها، فلما أصر أخوه على أن يخطب هذه المرأة: رضخ بلال لقوله، وتوجه معه إلى أشراف مخزوم، وعرض عليهم رغبة أخيه في مصاهرتهم، وقال لهم: يا قوم، نحن من قد عرفتم، كنا عبيدًا فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وكنا فقراء فأغنانا الله، وإني أخطب منكم ابنتكم لأخي، فإن تنكحوها له فالحمد لله، وإن تردونا عن قصدنا، فسوف يغنينا الله. فرحب به القوم، وأكرموا وفادته، وقبلوا شفاعته، وقالوا: مرحبا بمؤذن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم زوجوه ابنتهم، فلما خرجا من عندهم

أقبل عليه أخوه يلومه ويعنفه، ويقول: يا بلال، هلا ذكرت لهم مواقفنا في الإسلام، فقد أبلينا مع رسول الله بلاء حسنًا، فقال له بلال: اسكت يا هذا، فقد أنكحك الصدق.

الرخصة في كذب المرأة على زوجها:

وقد رخص الكذب على الزوج في بعض الحالات؛ لكي تستمر الحياة الزوجية. والكذب الجائز يكون في تظاهر كل منهما للآخر بالحب في حال عدم ميل أحدهما للآخر؛ وذلك من أجل تسيير سفينة المنزل ولعل هذا الميل المتصنع ينقلب إلى حب حقيقي بعد ذلك، ولا يجوز الكذب في غير هذه الحال؛ لأن الله مطلع سبحانه وتعالى، وما عدا ذلك فينبغي أن يسود الصدق بينهما، وإلا زالت الثقة والتي تتعذر الحياة بدونها. فعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ –رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا" متفق عليه، زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم، "ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها".

الصدق مع الأبناء:

كما أن المرأة هي القدوة لأبنائها والنموذج الذي يقتدون به في سلوكهم وأفعالهم؛ لذلك فهي تحرص على أن تصدق فيما تخبرهم به، وتحثهم على الصدق.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التهاون في الكذب على الأبناء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟" قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ" رواه داود، وحسنه الألباني.

فهذه الحركة التي تفعلها بعض الأمهات، فتقبض يدها وتقول للولد: تعال أعطيك، لو كانت يدها فارغة فهي كاذبة، وتكتب عليها كذبة، فانظري كيف يعلم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الأمهات أن ينشئوا أولادهم نشأة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو تجاوزت الأمهات عن هذه الأمور وقالوا: هذه توافه وهينة؛ فإن الأطفال سيكبرون وهم يعتبرون الكذب هيناً، وهو عند الله عظيم.

فالإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال؛ حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فيجب على المرأة أن تراعي الصدق مع أولادها، فلو طُرق الباب وفتح الولد الباب، فسأله الطارق عن أبيه: نعوده أن يقول الصدق.

مكانة الصدق:

الصدق من صفات الله عز وجل:

قال سبحانه: "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا" سورة النساء: 122، "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" سورة النساء: 87.

الصدق من صفات الأنبياء والرسل:

كما جاء في قول الله تعالى: "هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" يس: 52، وقوله تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا" مريم: 41.

الصدق من صفات المتقين:

قال الله تعالى: "قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَقِنا عَذابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ" آل عمران: 15- 17، وقال تعالى: "وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" الزمر: 33.

إن الصدق هو أساس الحسنات كلها وهو روح الأعمال كلها وهو الهادي لكل خير والداعي إلى كل بر، كما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا".

فضائل الصدق:

فضائل الصدق كثيرة منها:

حسن رفقة أهل الصدق: فقد أمر الله تعالى عباده أن يكون مع الصادقين، وخصهم مع الذي أنعم عليهم من النبيين والشهداء والصالحين فرفقة الصادقين هم الأنبياء والشهداء وأهل الصلاح وكفى بها رفقه قال سبحانه: "وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" النساء: 69.

فمنازل أهل الصدق في الجنة من أعلى المنازل وأعظمها حتى ظن البعض أنها منازل الأنبياء عليهم السلام عندما سمعوها من سيد الصادقين وإمام المتقين محمد –صلى الله عليه وسلم– فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم" قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" رواه البخاري ومسلم.

من أسباب النجاة من العذاب: قال سبحانه وتعالى: "قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" المائدة: 119. فأخبر سبحانه أنه لا ينفع العبد وينجيه من العذاب في يوم القيامة إلا صدقه.

مغفرة الذنوب والأجر العظيم: قال عز وجل: "وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" الأحزاب: 35.

معية الله تعالى مع الصادقين والقرب منه: قال سبحانه: "إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ" النحل: 128، فهذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات "إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا" أي اتقوا المعاصي على اختلاف أنواعها، "وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ" بتأدية الطاعات والقيام بما أمروا بها منها.

ويقول ابن القيم: ولهم مرتبة المعية مع الله فإن الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

الصادق خير الناس: أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلنا يا رسول الله؛ "من خير الناس؟ قال: خير الناس ذو القلب المخموم، واللسان الصادق. قيل: ما القلب المخموم؟ قال: هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد. قيل: فمَن على أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة. قيل: فمَن على أثره؟ قال: مؤمن في خلق حسن".

وأخرج ابن ماجة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْىَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ".

إجابة الدعاء، وإدراك الأجر الكثير من الله تعالى وإن عجز العبد عن العمل الذي نواه بصدق: أخرج مسلم عن سَهْل بْن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ".

سبب لحصول البركة: أخرج البخاري ومسلم عن حَكِيم بْن حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا".

الصدق طمأنينة للقلب وراحة للنفس: تستقيم حياة الفرد بالصّدق، وبالتّالي يتخلّص من المكَدِّرات التي تشوبُ حياة بعض الأفراد؛ بسبب عدم الوضوح والشكّ، عن الحسن بنِ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ" أخرجه الترمذي.

الفوز برضوان الله والجنة: قَالَ اللّهُ تعالى: "هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" المائدة: 119.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ" أخرجه أحمد والبيهقي وابن حبان.

فيا غالية هل وعيتِ قدر الصدق؟ فتجملي بخلق الصدق وكوني صادقة مع الله أولا ثم مع نفسك ثم مع الناس.

وأوصيك أختي الحبيبة بما وصى به أبو سليمان رحمه الله حيث قال: "اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية طلبك".

فاللهم اجعلنا من الصادقات.

التفاخر بالنسب

قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" سورة الحجرات: 13.

المعنى التفسيري للآية:

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله [تعالى] بث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا، ممن يقوم بذلك، ظاهرًا لا باطنًا، فيجازي كلا، بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك، يقول –تعالى ذكره– "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

وقال تعالى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة.

يقول –تعالى ذكره– "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

المعاني التربوية في التفاخر بالنسب وحكم الشرع فيها:

الفخر بمجرد النسب لا يجوز، وقد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ"، فالفخر بالأحساب من أمور الجاهلية؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ"، وهذا ذم للفخر بالأحساب؛ وذلك أن الإنسان إنما يشرف بأفعاله ولا ينفعه شرف آبائه وأجداده، وقال الشاعر: إذا افتخرتَ بأقوامٍ لهم شرفٌ قُلنا صدقتَ ولكن بئسَ ما وَلَدوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبه".

عنصرية الأنساب في المجتمع الإسلامي:

مظاهر العصبية متفشية في الكثير من المجتمعات الإسلامية، وكثيراً ما تسمع تلك العبارات العنصرية التي تخالف التعاليم الربانية والنبوية صراحة، بل وقلما تجد من يمنع أبناءه أو يزجرهم عندما ينطقون بكلمات أو يقومون بتصرفات تنم عن عصبية جاهلية.

ينبغي أن نعلم نحن أولاً ثم نعلم أبناءنا أن الإسلام قد ألغى وأزال تلك النظرة التي تجعل من اللون أو الجنس أو غيرها من الأمور مقياساً للمحبة والتعاون والتعامل الحسن والعدل، قال صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" رواه أحمد.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه ولا يذم أحدا بنسبه وإنما يمدح الإيمان والتقوى ويذم الكفر والفسوق والعصيان".

تلك العنصرية التي اكتوى بها العرب في قديم الزمان واكتوى بها الغرب وذاقت الأمم قديماً وحديثاً ويلاتها، أزالها الإسلام وهدم بنيانها وأقام أعظم بناء وأعظم رابطة لا تنقطع بانقطاع الزمان أو المكان بل حتى لو انقطعت الحياة الدنيا فهي تمتد في الحياة الأبدية، قال تعالى: "الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" سورة الزخرف: 67، قال ابن كثير –رحمه الله–: "أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه".

وأنتِ يا أختاه ماذا عنكِ؟

هل ما زلتِ تتفاخرين بنسبك وجاهك وحسبك بين الناس؟ وعلاما الغرور والتباهي والتكبر على خلق الله!؟

وعلى أي شيء تتباهي وأنتِ لم تكوني شيئًا فأوجدكِ الله وسواكِ وتتباهين وتختاري من الخلق من أولى بحبك لنسبه وشكله وجاهه؟ فلربما أعطاكِ الجاه والحسب وسلبتِ التقوى ولربما كانت فلانه بنظرك حقيرة وهي عند الله من الأتقياء.

أختاه، ما أجمل العيش مع الله ولله وأن يتعرف المرء على قدر نفسه ولا يحتقر أحدًا من خلقه، ففي حديث الصحيحين: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

وفي حديث أبي داود: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله عز وجل" رواه الطبراني وصححه الألباني.

قال صاحب تحفة الأحوذي: وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، أي يحبه لغرض وعرض وعوض، ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري، بل محبته تكون خالصة لله تعالى، فيكون متصفا بالحب في الله وداخلا في المتحابين.

الجدية في القول وعدم الخضوع به

قال تعالى: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا" الأحزاب: 32.

المعنى التفسيري للآية:

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، ونساء الأمة تبعٌ لهن في ذلك، فقال مخاطبًا لنساء النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة. ثم قال: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" قال السُّدِّي وغيره: «يعني بذلك: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال»؛ ولهذا قال: "فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" أي: دَغَل، "وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا" قال ابن زيد: «قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير».

ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها (تفسير ابن كثير).

قال البغوي: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" لَا تَلِنَّ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ وَلَا تُرَقِّقْنَ الْكَلَامَ؛ "فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" أَيْ: فُجُورٌ وَشَهْوَةٌ، وَقِيلَ: نِفَاقٌ، وَالْمَعْنَى: لَا تَقُلْنَ قَوْلًا يَجِدُ مُنَافِقٌ أَوْ فَاجِرٌ بِهِ سَبِيلًا إِلَى الطَّمَعِ فِيكُنَّ.

وَالْمَرْأَةُ مَنْدُوبَةٌ إِلَى الْغِلْظَةِ فِي الْمَقَالَةِ إِذَا خَاطَبَتِ الْأَجَانِبَ لِقَطْعِ الْأَطْمَاعِ (تفسير البغوي).

أختاه بأوامر القرآن تمسكي ونواهيه تجنبي وبأمهات المؤمنين تشبهي.

"فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ": وجه الله أمهات المؤمنين قدوات نساء الأمة إلى ما فيه صلاحهن و صلاح نساء الأمة أجمعين و من تلك الأوامر و التوجيهات:

1. إغلاق باب الفاحشة بالتخلص من مقدماتها التي تبدأ بالخضوع بالقول منعًا لأي طمع في المرأة خاصة لو تحدثت مع صاحب قلب مريض قد يطمع في شرفها، وهنا أغلق باب الفتنة من بداية الخيط بمنع أي خضوع في القول وأمرهن بالتكلم بالمعروف.

2. البيت ستر للمرأة وكثرة خروجها مدعاة لامتهانها.

3. منع سبحانه المرأة من التبرج وإبداء الزينة صيانة لعفافها.

4. أمرها سبحانه بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وإخراج زكاة مالها وطاعة ربها وطاعة أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم.

5. أمرها سبحانه بالعلم وإزالة الجهل وأن تنهل من كلمات الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما فيهما من أحكام وأسرار حتى تشع المرأة نوراً على من حولها. قال تعالى: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" الأحزاب: 32 – 34، قال السعدي في تفسيره: يقول تعالى: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ" خطاب لهن كلهن "لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ" اللّه، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها. فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم،

فقال: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع "الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم اللّه، فإن ذلك لا تكاد تُميِلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلِينَ لهم القول. ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: "وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا" أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع. وتأمل كيف قال: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" ولم يقل: "فلا تَلِنَّ بالقول" وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه.

6. أمرهن بالتقوى عمومًا، وبجزئيات من التقوى، نص عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصًا الصلاة والزكاة، اللتان يحتاجهما، ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجل الطاعات، وفي الصلاة، الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة، الإحسان إلى العبيد.

7. ثم أمرهن بالطاعة عمومًا، فقال: "وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" يدخل في طاعة اللّه ورسوله، كل أمر، أُمِرَا به أمر إيجاب أو استحباب. "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ" بأمركن بما أَمَرَكُنَّ به، ونهيكن بما نهاكُنَّ عنه، "لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ" أي: الأذى، والشر، والخبث، يا "أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا".

8. أمرهن بالعلم، وبين لهن طريقه، فقال: "وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ" والمراد بآيات اللّه، القرآن. والحكمة، أسراره وسنة رسوله.

9. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله.

أختاه أما آن لكِ ؟

أين عامة النساء عن العمل على تحقيق أوامر الله واجتناب نواهيه، إذ إن واقع كثير منهن يخالف ذلك تمامًا حيث يكثرن الخروج، ويزاحمن الرجال في الأسواق والمنتزهات، وعلى أبواب المسجد الحرام لحضور الصلاة المفروضة وغير المفروضة، وكثير منهن قد جعلن الحجاب لوناً من الفتنة فأشغلن قلوب الرجال في أطهر بقعة على وجه الأرض!

بل والأدهى خروج النساء متبرجات مستعطرة بأنفس العطور مرقعة الكلام دون استحياء متخذه من الرجال أصحاب وخلان.

أختاه، أما آن لكِ أن تتوبي وتلتزمي بما جاء به الشرع؟

أما آن لكِ الرجوع لطريق العفة والحياء؟

أما آن لكِ الامتثال والاجتناب؟

المصادر:

-طريق الإسلام

-شبكة الألوكة

-موقع موضوع

-الدرر السنية

-صيد الفوائد

-موقع لها أون لاين

-تفسير السعدي

-المكتبة الشاملة

-إسلام ويب

- الشبكة الإسلامية

- مبادئ تربية المرأة المسلمة في ضوء الأحاديث النبوية -بحث مكمل لنيل الماجستار في التربية الإسلامية جامعة أم القرى- سميرة بنت سالم بن عبد الله جابر

- مقتبسات من دروس بعض العلماء

-تفسير البغوي وتقسير ابن كثير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد،

لقد اهتم الإسلام أشد الاهتمام بحسن الخلق فقد أثنى الله عز وجل على رسوله الكريم بحسن الخلق حيث قال عز وجل: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" العلق: ٤، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من شيءٍ في الميزان أثقل من حسن الخلق" رواه البخاري، وقال: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً" رواه أحمد وأبو داود.

فحُسن الخلق عبادة من العبادات التي يؤجر المسلم عليها، لذا وجب علينا كمسلمين السعي للرقي بأخلاقنا وتحسينها والتحلي بمكارم الأخلاق.

وما أجمل أن نرى الفتاة المسلمة متحلية بأخلاق حسنة تحقق جانب الاتزان في سلوكها، فلا يخفى على أحد أهمية المرأة المسلمة وكيف أن أعداء الدين يبذلون قصارى جهدهم ليجعلوها تتخلى عن رداء الأخلاق الحسنة وكم يحاولون أن يجروها لوحل لا طاقة لها به، فبالأخلاق تسمو الفتاة وبها تنال رفعة الدرجات عند الله.

وفي هذا الكتيب بإذن الله سنعرض لكم بعض الأخلاق الإسلامية التي ذكرت في القرآن الكريم، راجين من الله أن تسعى أختنا المسلمة للتحلي بها لتكوني قدوة ونموذجًا مُشرفًا للمرأة المسلمة بحق.

